

أرواح شريرة

تأليف: هنري جيمس

ترجمة: الشريف خاطر
مراجعة: مختار السويضي

المؤلف

ولد « هنري جيمس » سنة ١٨٤٣ ومات سنة ١٩١٦
« وهو يعتبر من أشهر الروائيين الأمريكيين » في شبابه
درس القانون في جامعة « هارفارد » ولكنه كان يهوى
الأدب وبرع فيه ووجه حياته كلها .

وبعد أن بلغ الثلاثين انتقل إلى أوروبا وعاش في
إنجلترا التي كان يحبها . وفي سنة ١٩١٥ تزوج
بالبطلة البريطانية تماطفا منه مع الانجليز أثناء الحرب
العالمية الأولى .

قبل أن تبدأ القصة

ذات ليلة من ليالي أعياد الميلاد ، كنا جالسين حول المدفأة نحكى قصصا عن الأرواح • واستمعنا إلى حكاية أو حكايتين عن الأرواح الصغيرة غير المؤذية التي تظهر للناس من وقت لآخر ، لكننا لا نتدخل في شئونهم ••
وسمعنا كذلك بعضا من تلك الحكايات الخيفة عن أنواع أخرى من الأرواح الشريرة المؤذية • وقص علينا جورج حكاية من تلك الحكايات • وبعدها ساد صمت لفترة وجيزة •

علقت قائلاً : أعتقد أن ذلك الشخص • قد عاش حياة

شريرة ، وعندما مات لم تستطع روحه أن تستريح في سلام .

فوالغنى جورج قائلا : « هذا النوع من الأرواح يعود للحياة لينشر الاتي بين الناس ويتسبب في وفاتهم » .

فقال جريفيث : « لكن ليس من السهل بالنسبة لها أن تفعل ذلك . كما أنه ليس متاحا لكثير من الناس أن تتصل بالأرواح الشريرة . فلابد أن تكون انسانا ذا حساسية خاصة . ومازال لدى القليل من الناس تلك القدرة على رؤيتهم رأى العين . واعتقد أن الروح تعنى أن تظهر في هيئة انسانية ليتعرف عليها الناس في شكلها المألوف » .

قال جورج : « ليس هذا كل شيء . فالروح لاستطيع أن تعتمد على امكانية الكلام . ومن ثم فهي تفسح عن رغباتها بطرق أخرى . فمن الممكن أن تظهر على هيئة شخص ، او ربما تتسلل بهدوء خلال أفكار الانسان . لكن مهما يكن الشكل الذي تظهر به الروح ، فهي تحتاج الى نوع من الترحيب الوجداني ، حتى تعلق النجاس . وبطبيعة الحال ، فإن الاحمال الخيرة هي الدفاح الاكيد

ضد أي روح شريرة ، والتي تعد بمثابة سلاح لاستطيع مقاومتها » .

وساد الصمت بيننا ثانية لفترة قصيرة . فقد كنا جميعا نفكر في قصة جورج . فقد قيل أنها حدثت حقيقة ، مما جعلنا نكتم أنفاسنا لمدة عشرين دقيقة . وقال أحدنا انه لم يسمع من قبل أبدا أن روحا شريرة ظهرت لطفل .

قال دوجلاس : « ذلك بالتأكيد يجعل الأمر أكثر سوءا لكنه حدث من قبل . قريبا يكون للأطفال بصفة خاصة حساسية شديدة قتل هذا النوع من الاثارة والخطر . ولو كان الطفل يضل على القصة تأثيرا بالغا ، وكأنه تروى من المبالغة ، فما رأيكم اذا كان هناك طفلان ٩٠٠٠ » .

اجاب واحد منا : « نقول ان طفلين بالطبع يضاعفان من المبالغة في التأثير . ونحن نريد أن نسمع حكايتهما » .
نهض دوجلاس واقفا وظهره للمدعاة وتطلع اليها وقال :

« لا أحد غيركم سمع هذه الحكاية أبدا » - حكاية
مربعة • تفوق للتصور •

« هل تقصد بذلك أنها ستخيفنا ؟ »

« أنها ليست بمثل هذه البساطة » - حقيقة أنا
لا أستطيع أن أشرح • وسوف نجبركم على التفكير
والتمثيل •••••

لمصاحبت إحدى السيدات : « أوه ، رائع ! »

قلت : « حسن إذن ، فلنجلس وتبدأ » .

« لا أستطيع أن أبدا » - فالحقيقة مدونة • وأنا لم
أحضرها معي ، هي في درج معلق بشقتي وينبغي علي أن
أرسل لأحضارها • لم ألق عليها نظرة منذ عدة سنوات •
أصبنا جميعا بالاحباط عندما قال ذلك •

فواصل كلامه : « سأكتب إلى خادمتي وأبحث إليه
بمفتاح الدرج •• وبإمكانه أن يرسلها إلينا بمجرد أن
يجدها » •

قلت : « أرجوك افعل • وسوف نستمع إلى القصة
قبل نهاية الاجازة •• هل هي تجربة خاصة بك ؟ »

« أوه ، كلا ، والحمد لله ! »

« هل هي من تأليفك ؟ هل أنت الذي كتبتها ؟ »

فريت على قلبه وقال : « كلا •• لكن الخوف والغبخ
والآلم لهذه القصة يكمن هنا • لم أستطيع نسيانها أبدا • »

« لكن النسخة ؟ •• »

« النسخة مكتوبة بحبر باهت قديم بخط غاية في
الجمال • »

ولرعد للحظة وقال : « خط امسرة • لقد ماتت منذ
عشرين عاما • وارسلت إلى الأوراق قبل أن تموت • »
كان جميعنا ينصت له في تلك اللحظة • وبالطبع
سألته إحدى السيدات عما إذا كان قد وقع في حبها •

لم يجب دوحلاس • لكنه قال : « كانت امرأة فاتنة
للغاية • لكنها كانت تكبرني بعشر سنوات • كانت مربية
أختي • »

ثم قال يهوه : « كانت الطف انسانة عرفت كرمية ،
كان ذلك منذ فترة طويلة وحدثت لها هذه التجربة المرحية .
قبل ذلك بفترة طويلة . كنت وقتها طالبا في الجامعة ،
واقابلتها في بيت أختي عندما ذهبت لزيارتها في الصيف .
كان صيفا جميلا وتمنعت فيه بشيء من الحديث حمها
والنزعات في الحديقة ١٠٠ . أجل ، ليست بكم حاجة الى
الضمك . فلقد أحجبت بها كثيرا جدا ، وأنا مازلت سعيدا
حتى الآن لاهتقائي أنها أحجبت بي أيضا . لئلا لم تكن
كذلك لما روت لي القصة . فهي لم تقلها لأى أحد على
الأطلاق ، ليس لأنها قالت ذلك ، بل لأننى كنت أعرف أنها لم
تقلها لأحد ١٠٠ كنت متأكدا من ذلك . وصف تكتشفون
السبب في ذلك بسهولة عندما تسمعون القصة » .

سألته : « أكان ذلك بسبب الانسياك التي أخافتها
كثيرا ؟ »

نظر الى دوجلاس مباشرة وقال : « سوف تكتشف
ذلك بسهولة » .

ثم ردد قائلا : « أنت . ستكتشف ذلك بنفسك اذا لم
يلعل أى انسان آخر ؟ »

« فهمت . كانت تحب » .

ضمكه ثم قال : « أنت ماهر . أجل ، كانت تحب ،
أعنى لقد كانت تحب . اكتشفت ذلك أيضا . فلم تكن
لستطيع أن تحكي القصة دون أن تبوح بسرها . وأنا
عرفته . وكانت هي تعرف أننى أعرفه . لكن لم يتحدث
أحد منا الى الآخر بخصوص ذلك » .

قلت : « سوف تتسلم الطرد صباح يوم الخميس » .

« أجل ، محتمل » .

« إذن ، فبعد العشاء يوم الخميس يمكنك ١٠٠ »

فقال دوجلاس : « سأقرأها لكم » .

سألت إحدى السيدات : « عن الذى كانت تحبه ؟ »

فأجبت أنا : « ستعرف ذلك من القصة » .

« آوه . لكننى لا أستطيع التطار القصة ! »

قال دوجلاس : « لن تكتشف القصة عن ذلك ، على

الأقل ليس بالطريقة المعهودة » .

« هذا ظلم » بهذه الطريقة الوحيدة التي أفهم بها » .

وإسأل شخص آخر : « انن لن نقول لنا يادرجلاس »

« أجل .. غدا .. الآن ينبغي أن أذهب إلى الفراش » ليلة طيبة !

ونركنا فجأة .

وما أن سمعنا خطواته على السلم . حتى قالت السيدة جريفيين :

« في الحقيقة » أنا لا أعرف من الذي كانت تحبه . لكنني أعرف أنه كان يحبها .. »

فقال زوجها : « لقد كانت تكبره بعشرة أعوام » .

« ما زال ذلك سبباً ممتولاً .. في سنه هذه ! لكن صمته الطويل شيء لطيف جداً ! ليس كذلك ؟

قال جريفيين : « أرى من عاماً ! »

قلت : « غدا مساء سوف نستمع إلى المزيد عن

القصصة . وبعد ذلك نستمع إلى القصة بأكملها يوم الخميس » .

بعد ذلك ألقى كل منا على الآخر تحية المساء وذهبنا للفراش .

في اليوم التالي علمت أن رسالته التي بها المفتاح . قد أرسلت على عنوانه في لندن في بريد الصباح . وتركناه وحيداً إلى ما بعد العشاء . بعد ذلك كنا مشوقين لسماع المزيد من القصة . وكان هو على استعداد تام ليواصل تقديمه للقصة . قال ، أنه لابد حقيقة من ضرورة قول بعض الكلمات القليلة إذا كان لنا أن نفهم القصة بشكل مناسب .

قال دوجلاس : « ان النسخة الخطية التي كتبها صديقتي تبدأ بعد فترة قصيرة من التمهيدات الأولية التي قمنا بها » وينبغي عليكم أن تعرفوا بالضبط ماذا كانت هذه التمهيدات .

« كانت الابنة الصغرى من عدة بنات لأب فقير يعمل تسييساً في الريف ، وفي سن العشرين تعتم عليها أن

تكمب قوتها بنفسها ، فقررت أن تصبح مربية أطفال ،
وسرعان ما قرات اعلانا يناسبها في أحد المهرات النسائية
فكثرت اليه وثقلت ردا بدعوتها لمقابلة صاحب الاعلان في
بيته بشارع هارلى .

« وهكذا سافرت الى لندن وتوجهت مباشرة الى
شارع هارلى . وبهرها حجم البيت وجماله . . لكن ليس
ليس أكثر من صاحب البيت الشاب نفسه . فلم تكن تلك
الفتاة الريفية المرتبكة قد رأت رجلا أبدا طوال حياتها ،
الا في أحلامها . كان مظهره رائعا حسورا ، لطيفا ، مرحا
وعطوفا . كان شاميا ، وغير متزوج .

« لكن الشيء الذي أعجبها كثيرا فيه . هو أنه التمس
منها أن تقبل العمل من أجل خاشره . وقال أنه سيكون في
منتهى الامتنان لو أنها ساعدته . واعتقد أنه كان لطلبه
هذا أثر كبير في الشجاعة التي أظهرتها فيما بعد .

« تبين لها أنه ثرى . فملا بيه القفظة ، على الأقل
تدل على ذلك ، كما أن البيت الفخم يثبت أنه يتفق مبالغ

كبيرة . لم يطلب منها أن تبقى في لندن ، بل تمنى لو أنها
تذهب في الحال الى بيته الريفي الذي يبعد سبعين ميلا .

« أخبرها بأنه وحتى على ابن وابنة أخيه السمينين
الذين مات عنها والداهما في الهند . وصرح لها بأنه
ليس من ذلك الصنف من الرجال ، الذي يستطيع أن يكون
مستولا عن أطفال . خاصة وأنه ليس متزوجا وليس لديه
خبرة باحتياجاتهم ، ولا الصبر الكافي لذلك . ولاشك أن
كل ذلك كان يسبب له ارتباكاً كبيراً ، مما جعله يقع في
الخطأ كثيرة . لكنه كان يشعر تجاههما بعطف كبير ويبدل
الحي ما في اسمه . ولهذا فقد أرسلهما الى بيته الريفي ،
لأن الريف كان أنسب مكان لهما . وأرسل معهما أفضل
من استطاع الاستعانة بهم لرايتهما ، بالإضافة الى
بعض خدمه الفصوصيين . وكان يزور المكان عندما تسمح
له الظروف ليرى كيف يسير حالهما .

« الصعوبة الكبرى كانت تكمن في عدم وجود القارب
آخرين ، كما أن أعماله الخاصة كانت تستغرق كل وقته .
لكن منزل الريفي في « بلاي » كان أفضل وأصح مكان .

خاصة مع وجود السيدة « جرور » مديرة البيت هناك ،
وهي سيدة ممتازة ، كانت خادمة امه من قبل • بالاضافة
الى عدد من الناس يقومون بالعاونة ، لكن بطبيعة الحال
سكنوا الفناء الذي سندهب الى هناك بمثابة مربية
للأطفال ، هي المشرفة على كل شئون البيت •

• كان واجبها الأساس يكمن في رعاية البنات
الصغيرة •

وكذلك رعاية الصبي الصغير أيام الاجازات • وكان
هذا الصبي في مدرسة نائية منذ عدة شهور • وسوف
يعود الى البيت خلال اسبوع أو عندما تبدأ الاجازة •
كان لدى الطفلين مربية قبل ذلك ، لكنها ماتت لسوء الحظ •
ولقد كانت تلقى القبول والاحترام حتى وفاتها ، ومن ثم
تربى على تلك ارمال الصبي مايلز الى مدرسة بعيدة •

• ومنذ ذلك الحين ، كانت السيدة جرور تبذل غاية
جهدها لرعاية الطفلة الصغيرة فلورا وتعلمها آداب
السلوك •

وكان يوجد في « بلای » كذلك طبخ وخادمان

ويسمئني عجز ، وحوذي لقيانة الصربية ، وكانوا كلهم
بشعور بالثقة والاحترام •

عند هذا الحد توقف دوچلاس طويلا ، ايتيح الفرصة
لأحدنا ان يسأل • « ما هو سبب موت المربية السابقة ؟ »

فاجاب : « سوف بنصح ذلك من خلال القصة • »

فقلت : « لو انني كنت مكان صديقتك ، فلابد ان الشك
كان بينائني ، وكنت سألت السيد عما اذا كانت المربية
في « بلای » • »

فأكمل دوچلاس ماكان يدور في ذهني : « ... تخاطر
بفقدان حياتها ؟ بالطبع ، كانت تريد ان تعرف ذلك ، وسوف
أحكي لكم غدا ماعرفته ولقد انتابها بعض الشكوك الفطرية
في ذلك الوقت • كانت شابة صغيرة وثقة • وكانت تلك
أول وظيفة لها • ومسئولياتها لابد ان تكون جسيمة ، ولن
يكون لها أي رفيق في « بلای » •

ترددت ثم طلبت عدة أيام لتفكر في الأمر • ولما كان

المرتب الذي حدد لها أكبر بكثير مما توقعته ، فقد قبلت الوظيفة عندما قابلت السيد في المرة الثانية .

قلت : « السبب واضح ، فلقد وقعت في حب ذلك الشاب الرائع ، ولم تستطع رفض طلبه » .

نهض بوجلاس واتجه ناحية المدفأة ، وتوقف لحظة أو لحظتين وظهر لنا ، وقال : « لقد رائته مرتين فقط » .

— « نعم ، لكن ذلك أروع ما في حبها » .

فالتفت إلى بوجلاس وقال : « هذا صحيح » هذا أروع ما فيه . فلقد تقدمت لسماء أطروحات للوظيفة ورفضتها ، فقد خُلف من الظروف المحيطة بالعمل ، الذي بدأ بالنسبة لمن كُنّايا وغريبا ، هذا بالإضافة إلى أن شرطه الأساسي جعلهم يتخوفون » .

— « وماذا كان شرطه الأساسي ؟ » .

— « ألا تسيب له أي إزعاج على الإطلاق ، فلا ينبغي أن تشكو أبداً ، أو حتى تكذب إليه بخصوص أي شيء » وأن

نواجه كل المشاكل بنفسها ، وتعمل كل المستحيلة نجاه الأطفال و « بلاي » ، تتلقى كل ما ترده من نقود من معاميه ، أي ببساطة تتروكه في حاله ، ووعده أن تفعل كل ذلك ، وقالت لي ، أنه في اللحظة التي أمسك فيها يدها ليهتكوها ، شعرت بأنها نالت جائزة » .

سألت أحدى السيدات : « لكن من كان ذلك كل ما حصلت عليه ؟ »

— « لأنها لم نره مرة ثانية » .

فكالت أحدى السيدات : « أوه » .

وأعتقد أن هذه كانت الكلمة الوحيدة فقط التي كان يمكن أن تصدر من أي واحد لينا تعليقا على الموضوع حتى الليلة التالية .

في مساء الخميس تجمعنا بعد العشاء حول المدفأة ، واتحنا لبوجلاس فرصة الجلوس على أكثر المقاعد راحة ، وكان يضع تحت ذراعه كتابا أحمر غير سميك ، غلافه كالح

ثم بدأ يفتح ببطء ، واستغرقت القصة عدة ليالٍ ، لكن في
أول فرصة سمعت سألته نفس السيدة سؤالاً آخر :

« ما عنوان القصة ، يا دوجلاس ؟ »

« ليس هناك عنوان ، »

قلت : « أوه ، بل يوجد عنوان ! »

ولم يهتم دوجلاس بملاحظتي ، وبدأ بقراءة بصوت
واضح ...

- ١ -

في اليوم التالي لزيارتي الثانية لك البيت في شارع
مارلي عاودتني كل شكوكي مرة ثانية ، وأحسست نغماً
أنني أخطأت .

وحلت من لندن بنفس تلك الحالة الذهنية ، ووصلت
إلى قرية تبعه من « بلأي » عدة أميال ، بعد ظهور يوم دامى
من شهر يونيو . كانت عربة البيت في انتظارى ، ورفس
بألى مشوار الرحلة روحى المعنوية ، لأن المنطقة كانت من
أجمل مناطق الريف ، وأحسست بنوع من الترحيب الجميم
هناك . وعندما استدرنا داخل الحديقة ورأيت البيت لأول
مرة ، ذابت كل مشاغلنى .

كان بيتاً ذا واجهة عريضة مشرقة ، ونوافذ عريضة
مفتوحة ، ومقائر ناصعة البياض .



ورابت البيت لأول مرة ..

وكان اثنان من الخدم يطلان من النوافذ ، يرقبان
العربة .

مازلت اذكر العشب الأخضر ، ومئات الزهور ، وخضرة
عجلات العربة فوق المسر وذلك الهدوء الذى يتصف به
المكان .

كان المشهد عظيما ولايقارن ببيتنا الصغير المتواضع .
وعندما توقفت العربة ظهرت عند الباب امرأ بشوشة تمسك
فى يدها طفلة صغيرة . قامت بتحيتى كما لو كنت سيدتها
او زائرا مهما .

عندما كنت فى شارع هارلى اخذت فكرة مقبلة تماما
عن . بلاى . ، اما الآن فقد بدت لى صورة ذلك الرجل اروع
مما كنت اظن اول مرة .

وحقيقة فلقد استمنعت بالساعات التى تلت ذلك .
ففلورا الصغيرة كانت بتنا مدهشة ، وشعرت باننى محظوظة
لكى تكون تلميذة لى . . كانت اجمل طفلة رايتها فى حياتى
واندهشت بعد ذلك عن السبب الذى جعل السيد لا يخبرنى
بذلك .

ومن فرط سعادتي لم أستطع النوم جيدا تلك الليلة .

كانت حجرة نومى كبيرة ، ومن أحسن الحجرات فى البيت . والسريـر نفسه كان من ذلك النـسـج الذى يمكن للإنسان أن يراه فى القلاع ، ولأول مرة فى حياتى استطعت أن أرى نفسى من أخمص قدمى إلى قمة رأسى فى حـراة كبيرة . لقد كانت كل هذه الأشياء - غير متوقعة على الإطلاق - مثلما لم أكن أتوقع جمال البنت الصغيرة .

وكان من غير المتوقع أيضا أن أتوافق مع السيدة جروز منذ الوهلة الأولى . فلقد كان لدى بعض القلق تجاه علاقتى بمديرة البيت ، لكن لم يكن ينبغي أن أشعر هكذا .

كانت امرأة كبيرة ، بسيطة ، وانظمة ، نظيفة وامينة .

وبدت فى منتهى السـمـاعة لرؤيتى . وحقيقة ، وبعد مـضى نصف ساعة ، أحسست أنها تحاول أن تخفى عـدى سعادتها لرؤيتى ، غـسـاءت لـلـذا .

أما بالنسبة للطفلة الصغيرة فلم أشعر بأى نوع من القلق تجاهها . فلقد كان مما يسعدنى حقاً ، أن أقوم

بالشـريـس لها . فكرت فيها كثيراً فى تلك الليلة الأولى . وهذا ما جعلنى متيقظة بالإضافة إلى اضطرابى . كنت أنهش عدة مرات وأتجول فى أنحاء الحجرة وأطلع إلى الأثاث والسقائر واللوادر الأخرى التى تدل على حسن حظى . رأيت تباشير الصباح وسمعت تغاريد الطيور الأولى من خلال نافذتى المفتوحة . وقبل ذلك بفترة سمعت أصواتاً أخرى صادرة من داخل البيت . وأصغيت مرة أخرى عسى أن تتكرر مرة ثانية . وذات مرة تعرفت على الصوت . فقد كان صرخة طفل وأهنة آتية من بعيد . وبعد ذلك سمعت صوت خطوات خفيفة فى الروضة الموجودة خارج غرفتى . لكن هذه الخزعبلات لم تكن بالدرجة التى يمكن أن تزعجنى فى ذلك الوقت . وأنا أذكرها فقط الآن لأن لها ارتباطاً بما حدث بعد ذلك .

لم يكن واجبى فى « بلاى » ينحصر فى تعليم فلورا . بل فى العناية بها كلية . كنت غريبة فى هذا البيت ، وكانت الطفلة قلقة بعض الشيء بطبيعة الحال . لكن السيدة جروز كانت قد اتفقت معى . على أن نشام فلورا معى فى حـمـرتى

بعد هذه اللبلة الأولى * فاحسست يقيناً انها سرعان
ما تتوافق معى *

اهجبت بسلوك الطفلة الصغيرة اثناء العشاء ، ولم
تستطع مديرة المبيت أن تخفى سماعتها بذلك * وتحدثنا
بطبيعة الحال عن الطفلة بطريق غير مباشر في وجودها ،
لكننا كنا نلهم بعضنا تماماً *

- وللمبذى الآخر * على يبدو مثلها ؟ اهو ايضا *
- اوه ، بالانسة ، في الحقيقة هو كذلك * لو انك نظنين
خيراً في هذه المبيت *
ثم توقفت السيدة حروز هناك وفي يدها طبق وهي
تبتسم !

- نعم ، لو اننى افعل *
- سيبدأ طاف معك السيد الصغير !
- حسن ، ولسوء الحظ سرعان ما اتعاطف بسرعة *
فلقد حدث لى ذلك في لندن *

- تقصدين في شارع هارلى ، بالانسة ؟
- نعم !

- اوه بالانسة ، لست انت أول شخص يشعر بذلك نسوة
ولن نكرنى الأخيرة !
ضحكت وقالت : اوه ، أنا اعرف ذلك جيداً * متى
سيعود الصبي الصغير الى البيت ؟

- بعد باكر * متقابله العربة في القرية *
وانلقنا على ضرورة نهائى مع فلورا لمقابلة شقبتها *
وكان ذلك هو ثانى شيء انلق فيه بسهولة مع السيدة
جروز * واعتقد أن ذلك ساعدنا نحن الاثنين *
كانت خطتى في اليوم التالى أن أعطى الطفلة فرصة
لتعرفنى افضل * فطلبت منها اذا كانت ترغب ، وكنوع من
الجميل بالنسبة لى ، أن تزينى بنفسها المبيت وما حوله *
وكانت سماعتها بالغة بذلك *

فارتقت المبيت مكاناً ومكاناً ، وحجرة حجرة ، حتى
الاماكن الممتلئة منه ، وكنا اثناء ذلك نتحدث حديثاً ودياً *

وكانت النتيجة اننا أصبحنا أصدقاء بعد مطي نصف ساعة .

خلال جولتنا في المكان لفت نظري ثقتها في نفسها وشجاعتها . فاحيانا كنت أتردد في الدخول عند مدخل إحدى الغرف الخالية أو عند معر مظلم ، أما هي فلم تكن تتردد أبدا . حتى عندما وصلنا إلى قمة البرج القديم المربع الذي أرميتي ، كان صوتها مجلجلا وهي تقولني .

منذ اليوم الذي غادرت فيه « بلاي » لم أرجع إليه أبدا . كنت شابة آنذاك ، وخبرتي قليلة بالحياة ، أبدا في البيت آنذاك ضحكا ورائعا وذا أهمية ، في حين أنه يبدو لي الآن بيتا ريفيا عاديا . لكن عندما كانت مرشدتي تمضي أمامي رائحة في أرجاء البيت وودعته ، فقد خيل لي ساعتها أنه قلعة رائعة . كان الأمر بمثابة رواية سقطت فائضة وأنا أقرأها .

وبعد الغداء تبدلت وجهة نظري بالنسبة للبيت . كان « بلاي » بيتا كبيرا وغير جميل ، لكنه مريح ، كأنه بمثابة سفينة خشبية عليها نصف دسقة من المسافرين ، والغريب في الأمر أنني فائضة هذه السفينة !

- ٣ -

في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم وصل البريد ، كانت هناك ورقة صغيرة من السيد تصوي مطروفا مغلفا موجهة إليه على عنوانه . كانت الورقة تقول : « هذا الخطاب المعلق من ناظر مدرسة « مايلز » ، أرجو أن تقرأيه ، وتكلمني معه ، ولا تخبريني بأي شيء » . لا أريد أن أسمع كلمة واحدة ! »

لم أفتح الخطاب إلا حين ذهبت إلى الفراش ، وكتمت أن كنت تركته إلى الصباح ، لأنه أصابني بالأرق ليلة أخرى - بعد ساعة من تناول الإفطار قررت أن اتحدث مع السيدة جرون بخصوص الخطاب .

قلت : « لقد طرد مايلز من المدرسة ، ما رأيك على ذلك ؟

لاحظت تعبير وجهها على الغور . فربما لم تزعجها
هذه الأخبار . ثم بدا عليها كما لو أنها لم تلمح الأمر .
فقلت : « لكن الأبقار الأولاد المدرسة عند بدء الأجازة ؟ »

— أجل . أيام الأجازات فقط . لكن هايلز لن يعود
إلى المدرسة على الإطلاق ، لقد فصل !

أحمر وجهها وقالت : « ألن يأخذوه ثانية ؟ »

— يرفضون رفضاً تاماً .

أمثلت عينها بالدموع وقالت : « ما الذى فعله »

ناولتها الخطاب . لم تأخذه منى وضعت يدها خلف
ظهرها ومرت رأسها . وقالت :

— هذه المسائل ليست من اختصاصى يا أنسة !

عرفت عندئذ أنها لا تستطيع القراءة . وأحمر وجهى
بسبب غلظتى . وفتحت الخطاب لأقرأ لها . لكننى لسم
استطع فعل ذلك . وكل ما استطعت قوله : « أنا أشارك عما
إذا كان الأمر سيئاً » .

كانت الدموع مائة ألف فى عينيها ، وقالت : « هل الخطاب
يقول ذلك بالأنسة ؟ »

— « لا توجد تفاصيل » فالناظر بكل بساطة يصف لعدم
امكان عودة هايلز إلى المدرسة . وهذا يحتمل معنى
واحداً ، أنه ولد مؤذى بالنسبة للأولاد الآخرين . »

التفتت إلى فى غضب وقالت : « سبى هايلز مؤذى
بالنسبة للأولاد الآخرين ؟ »

لم أكن قد رأيت الولد من قبل . لكن كان هناك فيض
من الثقة فى كلماتها حتى أننى صدقتها . فقلت : « أجل .
أجل . أنا لا أستطيع إدراك الموضوع على الإطلاق »

— بالطبع ، أن قول كلام مثل هذا فى منتهى القسوة
والظلم . . . انتظري حتى ترويه يا أنسة . . ثم صدقنى الأمر
إذا استطعت . »

أحمست لحظتها بلشول شديد لرويته . ومن الممتع
أن السيدة جروز أدركت ذلك ، فواصلت كلامها على الفور :
هل تصدقين مثل هذا الكلام عن غلورا ؟ تطلمسى إليها
فلا ! !

قبل ذلك بعشر دقائق كنت قد تركت ملورا في حجرة الدراسة ، مشغولة بواجب الكتابة الذي أعطيتسه لها .
وعندما استعدت في تلك اللحظة وجدتني تقف بباب الحجرة المفتوح ، في مواجهتنا . وبدأ في عينيها كأنها تقول :
« ظننت أنه من اللطيف أن أتبعه ، أما الواجب فإمكانى أن أقوم به فيما بعد » .

في نفس ذلك اليوم أخذت اتعين فرصة للمحديث مع السيدة جروز مرة ثانية . لكن كان على الانتظار حتى وقت المساء ، حين تبين لي أنها كانت تحاول أن تتجنبني . وحدث أن قابلتها على السلم .

سألتها : « هل صحيح أنك لم تكوني تعرفين أبدا أن مايلز ولد سييرا » .

— « آوه ، كلا ، يا أنسة . لا أستطيع ادعاء ذلك » .

— « إذن لانت تعرفينه ؟ » .

— « أجل أعرفه تماما ، يا الهى ! »

— « تعين أنه لم يكن أبدا ولدا سيئا » .

— « لم يولد له مثيل أبدا ، يا أنسة ! »

وافقتها على ذلك ، وقلت : « لكن يصحبك منهما أحيانا بعض الشقاوة ، اليس كذلك ؟ ولم أعطها فرصة للإجابة فواصلت ؟ هكذا أفعل أنا ؟ لكن ليس لى حد الاساءة لى الاطفال الآخرين » .

عند ذلك ضحككت وقالت : « هل انت خائفة من أن يكون له تأثير سيير عليه ؟ » .

وجهت الى هذا السؤال بنوع من الجسارة حتى اننى ضحككت .

والى اليوم التالى وقبل أن اذهب لمقابلة مايلز كان لنا حديث هادى طويل .

قلت : « بالنسبة للمربية التى كانت هنا قبلى .. ماذا كان شأنها ؟ »

— « المربية السابقة ؟ كانت شابة لطيفة .. فى مثسل جمالك وشبابك تقريبا ، يا أنسة » .

فقلت ضاحكة : « اه ، اتمنى أن يكون جمالها وشبابها

قد ساعدها ، إذ يبدو وأنه يعجبه فينا ، أن تكون لغتيات
جميلات !

فوافقتني قائلة : « أو » . ذلك أسلوبه بالفعل . هو
بلعل ذلك .

لكن عندما قالت ذلك بدا أنها نعمت على ما قالته .
فاضالفت بسرعة : « أعني ذلك هو أسلوبه » . أسلوب
السيد .

في اللحظة التالية لم انتبه إلى أن ما قالته مصادفة كان
أكثر مما كانت تريد أن تقول . فسألتها فقط عما كنت أريد
أن أعرفه . « هل كان بينها وبين مايلز أي نوع من المتاعب »
- لم نقل لي مطلقا .

- هل كانت إنسانة حريصة .
وبدت السيدة جروز وكأنها تستحث ضميرها ثم قالت :
« أجل . . . بخصوص بعض الأشياء !

- لكن ليس بخصوص كل شيء ؟
فترددت مرة ثانية : « هيه . ياآنسة . . . لقد مضت لسال
مبيلها . ولا أريد أن أقول أي شيء بخصوصها » .

- أنا حليقة أقدر مشاعرك . لكن لايفيدك أن تخبريني
عن شيء . . . هل ماتت هنا في « بلاي » ؟

- كلا . رحلت عن هنا .

أهتسست بأن لي الحق في معرفة ماحدث للعربية
السابقة . أعرف عما إذا كان المكان أو العمل قد تسبب في
مرضها ، أو ربما يحدث لي ماحدث لها . « هل تعين أنها
مرضت هنا وكان ينبغي ترحيلها إلى بلدها ؟ »

- لم تسب بأي مرض هنا ، على قدر ما رأيت ، في هذا
البيت . لقد رحلت هنا في نهاية العام لتذهب إلى بلدها في
أجازة قصيرة . ولم يكن في ذلك شيء غير عادي وكان
لفلورا مرضة خاصة في ذلك الوقت ، فقامت برعاية
الطفلين فترة غياب المريضة . لكن الفتاة لم تعد أبدا . وفي
الوقت الذي كنت أتوقع فيه حضورها وصل خطيب من
سيدى يخبرني فيه أنها ماتت !

- وما السبب في موتها ؟

- لم يخبرني به إطلاقا . « لكن عفوا ، يا آنسة ،
فلا بد أن أعود إلى عملي الآن !

عندما وصلت الى فندق القريسة ، كان مايلز ينتظر هناك . كانت تبدو عليه مظاهر الفضاوة والشرف ، وذلك ما أعجبت به كثيرا جدا . نطلعت اليه فوجدته في مثل جمال شقيقته . لكن عندما تذكرت خطاب ناظر المدرسة أصبحت بحيرة ، بل حتى بشيء من الامانة . لقد كانت السيدة جرور على صواب ، فالولد لا يستطيع ان يرتكب اخطاء جسيمة - ان يبدو عليه انه لا يعرف شيئا سوى الحب .

وياسرع ما يمكن رثيث لقاء خاصا مع حديرة البيت لاني لها برأيي قلت : « انا متأكدة ان الامر كله هراء » .

- تلصدين هذه التهمة القاسية ؟

- اجل . لابد انهم اخطوا .

— اذن ماذا متفعلين ؟ هل ستقريين على الخطاب ؟
قلت لها بعد ان حسمت امرى : « كلا » لكن افعل اى شىء
على الاخلاق »

— لكن هل ستجربين معه ؟

— كلا . فهو لا يريد سماع كلمة ا

— وماذا عن مايلز نفسه ؟

— لا ينبغي ان اخبره باى شىء هو ايضا .

— اذن سأتكلم الى جانبك . يا ائمة . سرور تدبر
الأمر معاً ا

— عظيم ! ونصالحنا بالأيدي لتأكيد هذا الاتفاق .

لم تكن المسألة بمثل هذه السهولة كما تصورت . فقد
شعرت بنوع من الشفقة الكبيرة تجاه الطفلين مثل عموها
فى شارع مارلى — وخاصة بالنسبة للولد . لقد أحببتهما
هما الاثنان حدا ، وربما كان لذلك تأثيره فى حكمى عليهما
ان معرفة مايلز بالحياة كانت فى بدايتها ، ولم اكن كلزاً

تماما لكى امد بها . ولا استطيع تذكر الخطط التى وضعتها
لدراسته فى نهاية الاجازة . كلنا كان برى انه لابد وان
توجد دروس ، وانا أشعر الآن اننى كنت الشخص الوحيد
الذى تعلم خلال تلك الأسابيع !

ولأول مرة فى حياتى عرفت اللهو ، بل حتى كيف اللهو
ولا افكر فى المستقبل . لم اكن اعرف من قبل مثل هذه
الحرية والرحابة . كما لم يكن لدى الوقت لسماع موسيقى
الصيف ومعرفة كل أسرار الطبيعة .

غير اننى كنت اخطى باحترام كبير ورعاية حسنة .
كان الطفلان رائعين .

ولم تصدر عن الطفلين اى مناعب على الإطلاق .

وكان أكثر ما أحببت ميمها فى ذلك الوقت . هو رقتها
وحسن اصغائهما . كانت سحتهما على مايرام تماما وكذلك
فى اكمل سعادة . ويقتومان بفعل اى شىء اطلبه منهما .
ومازلت اذكر تلك الأسابيع وكأنها فترة من الهدوء والسلام
العظيم . لكننى الآن تأكدت ان ذلك الهدوء كان بمثابة
الترقب الذى يستعد به الحيوان للقتل .

في البحر ، بل هناك على قمة البرج المربع الذي تسلفت مع
فلورا .

واعقبت تلك الدهشة دهشة ثانية . فلم يكن الرجل
الذي رأيته هو الشخص الذي في مخيلتي . كان غريبا على
تماما . وفي اللحظة التالية ، اكتشفت أن الحديقة أصبحت
هائلة جدا فجأة . سكنت رياح المساء ، وثوقت الطيور
عن التغريد ، لكن لم يكن هناك تغير آخر في مظاهر الطبيعة
فالشمس الذهبية الغاربة مازالت موجودة في السماء ،
والصفاء مازال موجودا في الجو . والرجل الذي كان يتطلع
إلى كانت معاملته واضحة وكأنه صورة في إطار .

استرجعت بسرعة ملامح الأشخاص الذين أعرفهم
لكنه لم يكن من بينهم . تطلع كل منا إلى الآخر عبر اتساع
الحديقة . ولفترة تكفى لأسأل نفسي عدة مرات ممن يكون .
لكن لم يكن في استطاعتي أن أعرف ، وأخذت جبرشي من
فشلي هذا تغنو اقوى كل لحظة .

في مثل هذه الأحوال ، فإن السؤال المهم الذي يقب
وإعراها ، هو كم استغرق هذا الأمر . وبينما كنت أراقب

كانت أيام الصيف طويلة . وعندما كان تلميذاي ينتهيان
من تناول العشاء والذهاب إلى الفراش ، تعودت أن استمتع
لعدة ساعة بمفردى . كنت أقضيها غالبا في الشمس في
أرجاء البيت أو في الحديقة ، مستمتعة بجمال البيت
والعرائق . في تلك اللحظات كان يصعدني أيضا أن أفكر
في السيد الذي كان يقطن في شارع هارلي . لقد كنت ألتفت
كل ما تطلب مني أن أفعله ، وتعذبت أن أكون قد قمت به على
أكمل وجه . ودائما ما كنت أتخيله يظهر فجأة في أحد
أركان البيت أو أحد الممرات . يقف قبالي بابتسامته المشرقة
وبثني على عملي . كل ما كنت أتمناه فقط هو أن يعرف ،
وأفضل طريقة للتأكد من أنه قد عرف ، هي حضوره إلى
هنا . ورؤية ذلك منكمما على وجهه .

وفي نهاية يوم من تلك الأيام الطويلة ، وفي إحدى هذه
المرات كان وجهه يلوح في مخيلتي هكذا بالبنسب فخرجت
من بين مجموعة من الأشجار وأصبح البيت كله في مواجهة
بصري . وقلت ساكنة بلا حراك لقد اعتقدت بنسوع من
الدهشة أن خيالاتي أصبحت حقيقة . كان يقف هناك ! ليس

هذا الشخص كانت العديد من أسماء الناس للذين أعرفهم
نجارا أو عندما تمر عبر رأسي ، وظل الأمر لفترة حتى
وصلت الى حقيقة أنه ربما يكون شخصا من أهل البيت لم
أره على الإطلاق .

- ٤ -

كانت أول فكرة خطرت على بالي ، أنه ربما يكون هناك
امرئى « بلاى » ، من المحتمل أن العائلة لديها قريب مجنون
تخجل منه ، واحتجته هناك فى السر ، كأنه «مجنون » . كانت
فكركم هو احدى الأفكار التى انمايتنى ولم أعرفكم من الوقت
وقلت هناك وأنا فى حفنئ الضيق بسبب اللطول والخوف ،
وعندما عدت الى البيت كان الظلام قد حل تقريبا .

كانت السيدة جروز هناك فى استقبالى ، وكان يدور
على وجهها شيء من الجزع ، ففكرت أنها افقتنى . وعندما
زال جزمها ، عاد إليها تعبير وجهها العسائى الطيب
الصديق ، وحينما تطلمعت إليها حينئذ ، تأكدت أنها لسم
تكتشف شيئا مما قد رأيته . فترددت وبعد لحظة قررت ألا
أخبرها .

وتساءلت عندئذ كم مضى من الوقت على وجوده معنا
خبايتنى تلك الفكرة ، على ما أذكر ، لأننى كنت المسئولة
عن « بلاى » . ولابد أن أكون قد قابلت كل فرد فيه ،
وتأكدت أنه كان ينظر الى ، كما لو أنه كان يمال نفسه
بالضبط نفس الأسئلة . ولو أننا كنا قريبين من بعضنا ،
فقد كان من الممكن أن تكون صريحة أو نداء من النتيجة
المنطقية لظنر أننا الطوبلة .

كان يقلب فى أحد زوايا البرج ، لكن بعد دقيقة غير
مكافئة ببطء . ثم أتبعه ناعبة الركن الآخر وهو مازال ينظر
الى ، لكن لفترة قصيرة . وبينما كان يبتعد كانت عيناه
لا تزالان مثبتتان على بشده . وأبعد ، كان ذلك كل ما عرفته ا

أبدت بعض الأعداء لتأخيري بالخارج وتوجهت الى
غرفتي .

كانت حبرتي في المكان الآمن الوحيد الذي استطعت
أن أفكر فيها بصفاء لعدة أيام . لم أكن خائفة بعد ، لكن
الذي كان يزعجني هو التفكير في أنني ربما أصبح خائفة .
بحثت عن بعض التفسيرات لهذا الحساث ، كما أصليت
اهتماما أكثر للأشياء العادية التي تجري في البيت . ذلك
أن الصدمة التي تعرضت لها أوصلت كل حواسي .

وبعد انقضاء ثلاثة أيام تأكدت من عدم وجود أقرباء
يعيشون في الممر بأعلى البرج . ولم أستطع أن أصدق أن
ماتت له قد يكون نكتة عملية وشبه الأطفال أو الخدم .
وأحسست يقينا أنه ليس هناك أحد آخر في البيت عرفت
أي شيء عن الزائر الغريب .

كان هناك احتمال واحد فقط يمكن حدوثه ؟ وهو أن
شخصا ما دخل البيت دون أن يراه أحد . ربما يكون سائما
مفروما بالبيوت القديمة ، دخل الى البيت وصعد الى البرج .
واستمع بالنظر ثم انصرف في هدوء . لكن ان يفعل ذلك

فذلك جراءة منه ، والأكثر جراءة في الأمر نظرت الطويلة
القاسية الى . على أي الأحوال فلقد انتهى الموضوع وأن
يعود الى هنا مرة ثانية .

قررت أن أنسى متاعبي بأن أعطى كل وقتي وفكسري
لعملي . ولم يكن ذلك سهوا . فقد كان مايلز ولورا يمثلان
بالنسبة لي سماعة وبهجة عظيمة . بإخامة وأن عمل المربية
عادة ما يكون عملا مملا ، لكني أحسست بنوع من الرضا
التام فيه .

كان الطفلان يهياي متعة في كل شيء ، وفي كل يوم
كنت أكتشف أشياء جديدة . لكن ذات يوم لم أكتشف أي
شيء على الإطلاق ؟ لأن مايلز لم يعبرني بأي شيء عن
مدرسته . ربما أنه حل اللغز دون أن يقول كلمة . كان
سلوكه ممتازا . ولم أستطع حقيقة أن أصدق ببساطة أن
ثمة طفلا مثله يستطيع فعل أشياء سيئة .

كنت متأكدة من ذلك تماما لأنه لم يفعل أي شيء أبدا
يستحق عليه العقاب . ولو أنه كان شريفا ، فلا بد أنه



كان سيماني من ذلك ، ولكنت رأيت بوادر ألم أو خجل
على وجهه . لكنني لم أجد شيئاً سوى السعادة . كان
هناك نوع من السحر في هذين الطاعنين جعلني أنسى
شكوكي والامني .

مازلت أذكر يوم الأحد الثاني من شهر يوليو ، فقد كان
صباحه ممطرا ولم نستطع الذهاب الى الكنيسة ، وانضمت
مع السيدة جروز أن نذهب معاً الى المصايف اذا توقف المطر
ولحسن الحظ توقف المطر ، فهيات نفسي لنذهب الى القرية
وعند نزولي على السلم تذكرت حقيقتي التي تركتها في
حجرة الطعام وقت تناولنا الشاي ، فذهبت لأحضرها .
كانت خطوه واحدة داخل الغرفة فيها الكفاية ، فلقد رأيت
حقيقتي فوق أحد المقاعد بالقرب من النافذة المريضة ، التي
كانت مغلقة . ورأيت كذلك شطصاً يقف خارج النافذة ويطل
مباشرة الى الداخل ، وتعرفت عليه في الحال . كان نفس
الرجل الذي ظهر لي من قبل فوق المروج !

لم تكن صورته أوضح بالنسبة لي ، عكس ماحدث في
المرّة الأولى ، لكنه كان بالتأكيد أكثر قرباً مني ، جعلني

منظره اكتم انفاسى واصاب ببرودة • كان وجهه ملتصقا
بالزجاج • نظر الى • وعرفت انه تصوف على • لكننى
شعرت كما لو اننى كنت رأيت منذ اعوام واننى اعرفه منذ
فترة طويلة • وحدث شيء هذه المرة لم يحدث من قبل ؟
وهو ان عينيه ابتعدتا على المظلات قليلة ، ولحظنا تنظمان
في اتجاه الغرفة •

وتأكدت في القبر انه يحدث عن شخص آخر ، وانه لم
يعثر من اجلى •

وكان لمعرفة ذلك اثر غريب على • ان نتج عنه احساس
بالواجب والشجاعة • فاندفعت خارجة من المحسرة الى
المسالة ثم الى الخارج • وللفت حول ناصية البيت ، حتى
وصلت في مواجهة نافذة حجرة الطعام مباشرة من الخارج
لكن الزائر كان قد اختفى • توقفت ، وشعرت بنسوع من
الارتياح نتيجة لذلك ، ثم انتظرت لاعطيه فرصة للظهور
مرة ثانية •

كان العمر والعديقة المجاورة ، والفناء الخلفى ، كلها
خالية • وكانت هناك اعشاب طويلة والاسجار ضخمة ، لكننى

كنت على يقين من انه لا يخفى بداخلها فهو اما ان يكون
موجودا هناك او غير موجود • وبالتالي فهو غير موجود •
اذا لم اسطع رؤيته ، وقفت حيث كان واقفا • واتجهت
ناحية النافذة وسفطت وجهى على الزجاج كما فعل • فى
نفس اللحظة دخلت السيدة جرون الى حجرة الطعام من
الصالة • رأتنى كما رأيت انا الزائر الغريب ، توقفت كما
توقفت انا • وتسببت لها فى صدمة بنفس القدر الذى حدث
لى • ابهى لونها ولعلت بنس الحركة التى فعلتها انا •
اندفعت خارج الحجرة • كنت اعرف انها لابد ان تلتف وتأتى
الى الخارج • وبهنا كنت آلف منتظرة اياها تضاءلت اذا
ارتفعت وابهى لونها ؟ !

كانت انفاسها متقطعة عندما وصلت الى عبر الناصية
وقالت : « ما الأمر ؟ »

لم أقل شيئاً حتى أصبحت الى جوارى هائلتها : « كيف
يبدو منظري ؟ »

« يبدو مرعباً • فلونكه أبيض مثل ملأه السرير !

كان لابد أن أقول لها الآن • فلم أهد أستطيع الاحتفاظ
بسر هذه المرة الثانية • لقد حضرت الى بالطبع لذهب
الى الكنيسة ، لكنني لا أستطيع الذهاب !

« هل حدث أى شيء ؟ »

« نعم • ما حكن لك عنه • هل بدأ منظري غريباً
جداً ؟ »

- من خلال المناقذة ؟ أجل . مرحب !

قلت : « فعلا ، فلقد كنت مرغبة » .

وأوضحت لى عينا السيدة جروز بوضوح انها لا تريد ان تبدو خائفة . فأمسكت بيدي وكانت على استعداد تام لمشاركنى فى أزمته حينذاك . وقلت :

- لقد أبهضت لولكه عندما رأيتنى خلال المناقذة - أما ما رأيته أنا - فكان أسوأ من ذلك بكثير !

فسألتنى : « ماذا رأيت ؟ »

- رأيت رجلا غريب الشكل يتطلع الى حجرة الطعام !

- أى رجل ؟

- ليست لى أى فكرة .

تطلعت السيدة جروز حولها وقالت : « اذن الى أين ذهب ؟ »

- لا أعرف ذلك أيضا .

- هل رأيته من قبل ؟

- نعم . مرة . . كان فوق البرج حينذاك !

- هل نعلم أنه غريب ؟

- أوه . هو كذلك بالفعل !

- لكنك لم تخبرينى من قبل .

- كلا . كان لى مبرراتى . لكده تبينت الأمر الآن !

أضعت عيناها بشكل كبير : « أنا لم أتبين أى شيء . ثم قالت ببساطة : « هل أنت متأكدة من أنك لم تخيلى ذلك »

- متأكدة تماما !

- والله رأيته مرة من قبل فوق البرج ؟

- رأيته فوق المبرج ، وخارج هذه المناقذة الآن !

- ماذا كان يفعل فوق البرج ؟

- كان واقفا هناك ولاكثر . ويتطلع الى

- فكرت لتلقية : « أكان سيبدأ أم خائفا ؟ »

لم استطع الاجابة على الفور : « لم يكن سيبدأ ! »

- أكان واحدا من أهل القرية ؟

— كلا ليس من أهل القرية — لا أستطيع وصفه . لكنني متأكدة من ذلك .

— حسن ، إذا لم يكن ميذا ولا واحداً من أهل القرية . فعماذا يمكن أن يكون ؟

— انه ... أوه ! فليسمعني الله ، أنا لا أعرف من يكون نطلعت السيدة جروز حولها مرة ثانية . وتطلعت عبر الحديقة والغناء ثم التفتت الى وقالت : « كان من المفروض أن تكون في الكنيسة الآن » .

— أنا صفة . لن أستطيع الذهاب معك !

— ولم لا ؟ ربما يكون في ذلك مصلحة لك ؟

— لكن لن يكون ذلك في مصلحتيها .

وتطلعت نجاه حجرة الأطفال ..

— تصدين الطفلين ؟

— نعم . لا أستطيع تركهما الآن . أنا خائفة منه !

عندما قلت ذلك تغير تعبير وجهها . إذ يبدو أن فكرة

جديدة طرأت على ذهنها ، فكرة لم أوحى أنا بها اليها . وبيدات لتسألني : « عني رأيته — فوق المرح ؟ »

— منذ ثلاثة أسابيع مضت . في نفس هذا الوقت من النهار .

فكانت السيدة جروز : هل كان الجو ظلاماً تقريباً ؟

— أوه ، كلا . كان الوقت مساءً وكان هناك بعض الضوء .. ورأيتُه بنفس امكانية رؤيتك الآن !

— إذن كيف أمكنه أن يدخل ؟

ضجعت : « بل كيف أمكنه أن يفرح ؟ لم تكن لدى فرصة لسؤاله .. وهذا المساء لم تكن لديه القدرة على الدخول » .

— هل كان يتطلع فقط خلال النافذة ؟

— أجل . وأنتمي ألا يفعل أكثر من ذلك .

واستدارت لتتصرف . فانتظرت لحظة ثم قلت :
أذهبي انت الى الكنيسة . مع السلامة ينبغي أن أترقب ظنومه !!

تملعت الى عيني ثائبة وقالت : « هل انت خائفة
على الاطفال ؟ »

— وانت ، المست كذلك ؟

لم تجب وذهبت تجاه النافذة وضغطت وجهها على
الزجاج ، فواصلت كلامي : « انت ترين الآن كيف كان
بامكانه ان يرى . »

لم تتحرك وقالت : كم من الوقت بقى واذا هنا ؟
— حتى خرجت ، خرجت لاقابله ؟

عندئذ استدارت السيدة جروز وقالت : « اما انا فلم
استطع الخروج . »

ضحكت ثانية : « لم اكن اربح فى الخروج كذلك .
لكى خرجت ، لاننى اعتقدت ان ذلك من واجبي . »

فردت قائلة : « وكذلك من واجبي ايضا — قولى لى ،
ما شكله ؟ »

— شكله .. اوه .. لا ادرى لايشبه احدا !

فردت : لايشبه احدا ؟

— لم يكن يرتدى قبة ..

ولجأة أصبح وجهها جادا جدا ، وبسرعة اكملت
الصورة : شعره احمرا ، احمرا جدا ، صعد ، ووجهه
مستطيل شاحب ، ملامح وجهه واضحة مباشرة * حاجباه
اثقل من شعره وينحركان الى اعلى واسفل كثيرا .. عيناه
خريبتان ، حادتان ، صفيرتان لكنهما ثابتتان .. فمه واسع
وشفتاه غليظتان ، طويل .. مفرد الجسم ، نشط لكنه من
الاستحبال ولا يمكن ان يكون سيذا ؟

عندما كنت اتكلم شحبت وجهه رافقنى وجعلت عيناهما
وانغفر فاما وصاحت : « سيد ، سيد ، ايهكون هو ؟ »

فسالتها : « اذن ، هل نمرغينه ؟ »

— لكن هل كان مظهره محذرا ؟

— اوه جدا !

فواصلت : « وماذا كان يرتدى ؟ »

لاجبيت ! كان يرتدى ملابس شخص آخر * ملابس
محترمة ، لكنها لاتخصه !

ضجعت بهستيرية : ايها ملابس سيدى !

- اذن ، غالت تمرقينه !

فصاحت : « انه كوينت !! »

- كوينت ؟

- بيتر كوينت * خادم السيد ، خادمه المحصورى
عندما كان هنا .

- عندما كان السيد هنا ؟

- لم يكن يرتدى قبعة اهدا ، لكنه بالفعل كان يرتدى ؟
* حس ، لقد لقد السيد معلمين او ثلاثة من معاملته ! كان
هما الاثنان هنا العام الاخير * ثم وحل السيد * * وبقي
كوينت وحيدا .

- تعين انه عاش هنا وحده ؟

- كلا - كان وحيدا معنا * كان مسئولاً عن « بلى » * .

- وماذا حدث له ؟

ترددت لفترة طويلة * ثم غالت : « لقد ذهب ايضا » .

سالتها : « ذهب الى اين ؟ »

واصبح تعبير وجهها غريبا عن تلك اللحظة وقالت :
« يعلم الله ، الى اين ذهب ! لقد مات ! »

صحت : « مات ؟ »

تحركت قليلا ثم وقفت امامى بثبات * وقالت فى نبرة
كلها تعجب : « اجل * مات صمبر كوينت !! » *

لم نذهب الى الكسيمة ذلك المساء . وبدلاً من ذلك
ذهبنا الى حجرة الدراسة واغلقنا على انفسنا وقمنا ببعض
الصلوات والتدعوات .

بعد ذلك ناقشنا مشكلتنا . او بالأحرى مشكلتي أنا أكثر
من السيدة جروز . فهي شخصياً لم ترى شيء ولا حتى
مجرد شبح زائف ولا تعتقد ايضاً أن هناك أحداً آخر في
البيت قد رأى ذلك . وأصبح لافر من قبول أن شبح كوييت
قد ظهر لي فقط . فقد كان وصفي له صادقاً تماماً فلم
تستطع أن تشكك في كلماتي . ونتيجة لذلك فقد أظهرت
نحوي رقة وعطفاً لا يمكن أن انساهما أبداً .

وقررنا عندئذ أن نتحمل عبء هذا الموضوع سوياً .

وكننت على علم بأني سأقاسي كثيرا المصاحبة الأطفال • لابد أن بي شيئا مختلفا • فقد كنت استنناء ضمن شعاعية أو تسعة افراد يقبعون في البيت • لكنني حصلت على نوع من الراحة لمعرفة انه في استطاعتي التغلب على ذلك • وعند ذلك الوقت فصاعدا كنت أحكي كل شيء للسيدة جرون • واستطيع أن أنذكر برشوح تلك القصة المفاجئة التي حصلت على قبل أن نغترق للنوم • • • فلقد رويت لها حادثة عدة مسرات وبالتفصيل •

— نقول إن حصار بحثا عن شخص آخر • وأنه لم يحضر لزيارتك ؟

فاجبت : « اعتقد أنه كان يبحث عن هابلز »

— لماذا نعتقد ذلك ؟

— لدى أحساس أكيد • إلا نعتقد معي في ذلك ؟

فلم تبد اعتراضا وقالت : ماذا يحدث لو فرض وراة هابلز •

صحت قائلة : ذلك مايريدہ الرجل • يريد أن يلهم لهما •

عندئذ سمعت على حماية الطفلين • أن اجعل نفس دائما بعناية حاجز بينه وبينهما • • • كنت متأكدة. ضمنا اني سوف اراه مرة ثانية • وأنه ليس في مقدوره أن يصيبنى بأي اذى • وبمساعدة السيدة جرون لي اعتقدت أن في امكاني أن اتغلب على المشكلة • وعازلت اذكر احد الأشياء الأخيرة التي قلنها لها في تلك الليلة •

— لكن ليس من العريب أن الطفلين لم يذكرا شيئا ابدا • • • ؟

وترددت للحظة • •

فأعلنت السيدة جرون هايدور في فكري : • • • أن كوينت كان هنا • وأنهما كانا معه ؟

— لم ينطقا بكلمة عنه ابدا • ولا حتى اسمه •

— حسن • فلورا لا تذكره بالطبع • فلقد كانت صغيرة جدا • ولا تعرف أي شيء عنه •

— اذا كنت تعين موته • فربما لا تذكر • لكن هابلز لابد أنه يذكر •

هنوسلت الى : « اوه ، ارجو الا تصالبي ، يا آنسة »
- لادامى لخوفك • لكنها حساسة غريبة • اليس كذلك ؟
- هل لأن مايلز لم يقل لك شيئا أبدا عن كوينت ؟

- نعم ، خاصة وقد قلت انهما كان صديقين حميمين •
فأعلنت اعتراضها : « اوه ، لم تكن الصداقة من جانب
الطفل ، كانت وجهة نظر كوينت • • أعنى أن يلعب معه
ويسدده • »
توقفت ثم انصرفت : « لقد كان كوينت متحررا جدا • »
تخيلت وجه الشيخ وانقباضى فجأة شعور بالتقرؤز وفلت :
« متحرر جدا مع مايلز ؟ »
- بل ، متحرر جدا مع كل شخص ا •

فهمت من ذلك أن كوينت كان له بعض التأثير السيئ •
على الآخرين في البيت • لكننى عرفت أيضا أن « بسلامى »
يتمتع بسمعة طيبة بين الخدم وأهل القرية • ولم تكن هناك
حكايات سيئة مما تروى عادة عن مثل هذا النوع من البيوت
القديم •

- وهكذا غابت تعثرين اذن ، بأن شخصيته كانت
سببة ؟

- حسن ، انا كنت أعرف ذلك • • لكن السيد لم يكن
يعرف •
- ألم نقولى له أبدا ؟

- أنت تعرفين يا آنسة ، انه لا يحب الشكوى • وكان
يفضابق جدا من أى شيء من هذا القبيل ، وإذا كان الناس
بالنسبة له يبدون على مايرام • •

- فلا يفسح أى مجال للشكوى ، نعم ، اتفق معك ،
فهو يحب أن يتفادى كل المشاكل ويجعلها بعيدة عنه • لكنى
اعتقد أنى كنت حكاكته لقلت له !

- اعترف باننى كنت مضطلة • لكننى فى الحقيقة كنت
خائفة •

- وما الذى كنت تخافين عنه ؟

- من الانبياء التى كان من الممكن أن يفعلها ذلك الرجل
فقد كان كوينت ماهرا جدا ، وحادا جدا • •

— ألم تخافى من ناثيره ؟

— ناثيره ؟ !

كررتها بشيء من الألم .

— أقصد ناثيره على الطفلين . فقد كانتا تحت رعايتك .

— أوه . كلا ، لم يكونا تحت رعايتى . فقد كان السيد
يقبض فيه وأرسله الى هنا لأن صحته كانت معتلة . لأن حر
التريف كان من الممكن أن يعيده . كان مسئولاً عن كل شيء
حتى الطفلين .

اذعلنتى هذه الأنباء . حتى اننى استعجرت لأخفى
رجبى وقلت : « نعمين أن هذا الرجل كان مسئولاً عنهما »
كيف أمكنك أن تطبق ذلك ؟

— لم أستمع . . . لم أستطع . . . ولا أستطيع حتى الآن
وانحدرت المرأة الصكية فى البكاء وسرعان ما تركتني
بسرعة .

رابعداء من اليوم التالي حرصنا على مراقبة مايلز وعلورا
عن قرب . وكنا أحياناً نعود الى مناقشة الموضوع خلال

الأسبوع أنا والسيدة جروز . واعتقدنا أننا ناقشنا كل
شيء . لكن كان هناك دائماً سؤال فرعب كل منا أن خطرته
مرة ثانية . فلقد كان لدى أحساس غريب بأن هناك شيئاً
ما لم نفلح لى . شيء لم يكن واضحاً حتى بالنسبة لى .
حتى أسألها عنه مزالاً مباشراً . أنا لا أشك فى أخلاصها .
لكن أخفاها فى الغيाम بذلك كان مبعثه الخوف بالتأكيد .

كنت اقضى أوقاها طويلاً من الليل بقطعة . افكر حلياً
فى الحقيقة . لقد أعطونى صورة لرجل حى . . . وبالفألى لم
افكر فى الرجل الميت . . . ولم تكن صورة لطيفة . لقد
اقضى عدة شهور فى « بلاى » . حتى انتهت تلك الفترة
الاشعة صباح أحد أيام الشتاء . إذ وجد بيتر كوينت مبنا على
الطريق المؤدى الى القرية . كان هناك جرح فى أحد جوانب
راسه . قبل أنه من أثر سقوطه على حجارة الطريق فى
الظلام . كان يشرب فى حانة القرية . واعتبر البوليس
موته مجرد حادث . لكن اثناء التحقيق قبلت اشياء غريبة
منها : أن كوينت كان يعيش حياة غير طبيعية . وأن تصرفات
مشكوك فيها . وأنه كان يعاني من بعض اضطرابات غير
معروفة فى عقله .



كنت اجلس مع فلورا في الحديقة ..

عندئذ هيات نفسي لآكون بمثابة سياج حول الطفلين .
فلقد كان واجبي هو حمايتهما من وجود كوينت الشرير
والآيضا هذا الا القليل من الكثير الذي شاهده . بل وشعيت
بالطبع ، الا برىا شيئا ، وان يظل كوينت مختفيا عن ناظرهما
كما هو الحال بالنسبة للمسيدة جروز ..

كانت تلك الفترة فترة ترقب وقلق ، لكن انتظاري لم
يسمر طويلا حتى تحول هذا القلق الى برهان مخيف !!

فقد حدث بعد ظهر أحد الأيام عندما كنت اجلس وحدى
مع فلورا في الحديقة .. كنا قد تركنا ما يلز في البيت
جالسا على أحد المقاعد الوثيرة بجوار النافذة لئني كاتبا ،
وكنت سعيدة لتشجيعه على ذلك . فقد كان من أحد عبويه ،
ريما ، انه كان يترك واجباته دائما دون أن ينهيها . اما
فلورا فكانت تريد الخروج للشمس ، ومن ثم خرجنا سويا
للشمس عند البحيرة .

وكالعادة كنا نلعب سويا . ولسم اكن ابدأ اشارك
نلامضي بحماس شديد في هذه الألعاب . لانهم دائما

قد أحسست بوجود الغريب وتوقعت أن تصدر عنها صيحة
اندهاش أو خوف • لكن لم يحدث شيء وعندما نظرت إليها
كانت تقف وتظهرها إلى البحيرة • والنظرات لمعتين من
أمواد العشب كانت تحاول أن تسمع منهما قاربا صغيرا •
بعدها أخذت أنظر إلى الماء

ما يكونون على راحتهم يدورن • لكن كان لابد أن أبدو نوعا
من التوافق حتى أبدو شخصية جذابة بالنسبة لهم • كانوا
لا يتوقعون مني أن أفعل أي شيء أبدا • ونصيت ما كنت عليه
في هذه المناسبة • لكن كل ما ذكره أنني كنت هادئة جدا
وأشعر بأهمي • على حين كانت فلورا تلعب بنشاط زائد
• وفي ذلك الحين كنت جالسة على أريكة حجرية قديمة
بجوار البحيرة أقرا خطابا طويلا نسلمته هذا الصباح من
قبل والدي •

لجاء انتابني احساس غريب بأننا مراقبان • لم أرفع
نظري إلى أعلى فكنتي وكزت فكري وحاولت أن أقول ما يجب
أن أقوله • أحسست احساسا أكيدا بوجود شخص غريب
• وحاولت أنكر الاحتمالات التي حالت في ذهني وربما يكون
شخصا من أفراد البيت • أو رسولا من القرية أو صبي البقال
لكن احساسا ما كان يؤكد لي أن الأمر ليس كذلك •

ولجأة أصبحت فلورا ساكنة • لكن للحظة فقط • ثم
شرعت في الغناء وبدلا من التطلع إلى البحيرة • أخذت
أنظر مباشرة إلى الطفلة • وانتابني القلق إذ ربما تكون

- ٧ -

عدت بأسرع ما يمكن لمقابلة السيدة جروز . وصحت
قائلة :

- الطفلان يعرفان ! انهما يعرفان ، يعرفان وهذا شيء
مقلق !

فردت : « يعرفان ؟ ما الذى يعرفانه ؟ »

- يعرفان الذى نمرقه تماما .. وربما أكثر ! .. منذ
صباحة مضت كنت أنا وفلورا عند البحيرة ، ورات ما رأينا
أنا احرف انها رأت !
- هل قالت لك ؟

- لم تنطق بكلمة .. وهذا أسوأ ما فى الموضوع ..
لكننى متأكدة تماما انها رأتها !

- وأنها ١٩ -

- أهل ، كانت امرأة هذه المرة ، لكنها بدت سوبره
تماما مثل الرجل ، كانت تسمى السواء ، ووجهها شاحب
بدرجة مضيفة . . . آوه ، لا أستطيع أن أصف لك كيف . .

- أين رأيتها ؟

- على الضفة الأخرى من البحيرة ، كنت حالسة على
مفد حصري قديم ، وكانت الطفلة تلعب ، ثم فجأة ظهرت !

- كيف ظهرت . . . ومن أين ؟

- ظهرت فجأة ووقفت هناك ، كان لدى احساس أن
شخصا ما يراقبنا حتى قبل أن أراها .

- هل سبق أن رأيتها من قبل ؟

- أبدا . لكن الطفلة رأتها من قبل ، أنها تعرفها .
وأنت تعرفتها أيضا ، اعتقد أنها المريضة السابقة . . . تلك القى
ماتت !

- الآنسة جيزيل ؟

- نعم !

- لكن كيف يمكنك أن تعرفي ؟

- لا أرى - لكن فلورا تعرف - أنها متأكدة ، أرجو ألا
نماليها . فسوف نقول أنها لم تر أي أحد ، سوف نكتب
عليك !

- آه ، لكن كيف تستطيعين قول شيء مثل ذلك ؟
فلورا عمرها ثمان سنوات فقط . . .

- اعتقد انني مدركة لذلك تماما ، أن فلورا لا تريدني
أن أعرف ، ولو أنك كنت موجودة عند البحيرة ، لا يمكنك التحقق
من ذلك . هناك سر عميق بخصوص هذا الموضوع وكلما
أفكر فيه أكثر كلما ازداد خوفا !

- هل تدعين أنك تششين من رؤيتها ثانية ؟

- آوه ، كلا ، كل ما أشتاء أن أراها فلورا ، في حين
لا أراها أنا !

بدت عليها الحيرة وقالت : « أنا لا أفهم ، ينبغي ألا

نشغل ذهننا بذلك ! وعلى كل ، فربما تكون الطفلة غير مدركة ، ...

وحاولت أن تلقى بكتفه ؟ من المحتمل أنها معجبة بذلك !

— طفلة في الثامنة .. تعجب بمثل هذه الأمور ؟

— حسن ، إلا يثبت ذلك أنها لا تدرك إبعاد المسألة ؟

فقلت : « أوه ، أرجو أن يكون الأمر كذلك » أما إذا كان العكس فهذا يدل على وجود شيء مزعج ، لأن المرأة نجسب للشر كله .

إشرفت للمسيبة جروز برأسها إلى الأرض لمدة دقيقة ، ثم رفعت بصرها إلى ثانية وقالت : « أخبريني كيف عرفت ذلك ؟ »

— من منظر وجهها .. من الطريقة التي كانت تنظر بها .

— تقصدين الطريقة التي نظرت بها إليك ؟

— كلا ، كلا . فهي لم تنظر إلى علي الاطلاق . بل كانت مهتمة بفلورا فقط .

— وكيف كانت تنظر إلى الطفلة ؟

— أه ، بنظرة قاسية ! كيف يتسنى لي أن أصفها ؟

كانت تنظر إليها بإصرار مرعب .. للسيطرة عليها !

سكنت السيدة جروز لحظة ثم قالت : « هل كانت المرأة تليس السواد ؟ »

— نعم . كان منظرها بائسا ومشوشا . لكنها كانت تتحلى بجمال غريب . أوه ، نعم ، جميلة حقا .. لكنها شريرة !

وتكلمت السيدة جروز ببطء وقالت : « كانت الأنسة جيزيل شريرة حقا » .

وامسكت يدي وضغطت عليها دفة . وقالت بعد لحظة : « لقد كان كلاهما شريرا » .

فأجبت : « الآن أفهم السبب في عدم كلامك من قبل . لك كنت وفية لها . لكنني اعتقد أنه يحتم عليك الآن أن تاركس لي . ما السبب في موتها ؟ هل كانت هناك علاقة بيننا وبين كوبلت ؟ »

- نعم * بل أكثر من ذلك !

- بالرغم من اختلاف ...

- ... مستواهما * ومركزهما ** نعم * بالرغم من كل شيء ... كانت سيده محترمة !

ما زلت أذكر تعبير وجهها وهي تقول : « نعم - كانت سيده محترمة » .

- وكان هو مجرد خادم خاص .

ولم أشأ أن أجعل السيدة جروز تشعر بالسهل بقول المزيد من وضعية الخدم الاجتماعية ، فاكثفت بقولي : لقد كان شخصا مقززا .

فقلت : لم أعرف انسانا يماثله * فلقد كان يتصرف بما يرضيه ويسعده هو فقط .

- مع الآتية جيزيل ؟

- أجل ، ومع الخادعات أيضا .

- لكن لا بد أنها سمعت له بذلك * لا بد أن ذلك كان برضاهما .

- كان الأمر كذلك * لكنها كانت تعاني منه فيما بعد ، يالها من امرأة مسكينة !

قلت : « إذن غاشت تعرفين سبب حرقتها »

- كلا * لا أعرف شيئا عن ذلك * ولم أريد أن أعرف * وكنت سعيدة من أجلها عندما رحلت من « بلاي » .

- لكن لديك فكرة ما ...

- أنا أعرف بالطبع السبب الحقيقي لشركها المكان هنا * لم تستطع البقاء * عليك أن نتخيل فقط ما يمكن أن يحدث للعربية هنا ! أوه ، شيء فظيع !

وكنت أنا التي انفجرت بالبكاء هذه المرة * فاحاطنني بذراعيها الحانيتين * وصحبت قائلة : ما الذي يمكنني أن أفعله لائقان الطفلين ** لحمايتهما ؟ إن الأمر أسوأ جدا مما كنت أتخيل !!

- ٨ -

بعد أن تركت السيدة جروء عدت إلى الطفلين . . فقد
كان العلاج الأمثل لتورئى أن ألوم بالشربيس لهما في حجرة
الدراسة .

والبلت فلورا ناچينسى على الفور ، تتطلع في عينى
وقالت بجذبة : « ماذا حدث ؟ لماذا كنت تبكين » ؟

كنت أظن أننى قد محوت آثار الدموع من عيني ، لكننى
كنت سميدة وفنفا لأننى لم أفعل ذلك . فنظرت إلى عينيها
الزرقارين الصافيتين ، وتأكدت تماما أنه ليس بهما أى نوع
من الخداع المقصود . كانت عيناها من الجمال بحيث
لا تسمحان لأى نوع من الخداع .

وعندما أصبحت قريبة من الطفلين ، لم أستطع تصديق

قالت : « فى الحقيقة ، أنا لا أستطيع فهم المسألة على الإطلاق ! »

لم أكن أتوقع من السيدة جروز بالطبع ، أن تصدق أى شيء يسمى الى فلورا . لكن لو أننا نعاونا سويا ، فلسوف أكون على يقين من شيء واحد .

سألقها : لكنك تصدقين أننى رأيت الأنسة جيزيل ، اليس كذلك ؟ فأننا لم أكن أستطيع وصف هذين الشخصين بوضوح . إذا لم أكن قد رأيتهما . وقد تعرفت أنت عليهما فلورا من خلال وصلى .

« أعرف .. وهذا لا يرقى اليه الشك . فلقد وصفت كوينت تماما ، وكذلك الأنسة جيزيل . لكن أوه ، كم أود أن نساهما ! »

وقلت : « انتى أبحث عن سبيل للهرب منهما ، أو على الأقل تتحود على هذا الخطر . ويبدو أن الطفلين متعودان تماما على ذلك ، وأن ذلك لا يسبب لهما أى ضرر حتى الآن إلا إذا ... »

انهما يعرفان أو بينهما معنى الشر . وتلاشت شكوكى ومضاولى عندما سمعت صوتيهما .

وفى وقت متأخر من الليل . وبعد أن نام كل فرد فى البيت ، كان لى حديث مع الأنسة جروز . عبرت لها عن مشاعرى نحو الطفلين ، وشرحت لها كذلك مظاهر الخداع التى لاحظتها بعد الظهر بالقرب من البحيرة .

قلت : لقد راعنى أن فلورا متعودة على نقاء هذه المرأة ! وأنا أعرف الآن أماليبيها الصغيرة ! لقد رأيت الأنسة جيزيل .. لكنها كانت تريدنى أن أعتقد بأنها لم ترها . فى نفس الوقت ، ودون أن يبدو عليها أى شيء ، كانت تتسائل عما إذا كنت قد رأيتهما أم لا !

سألتنى السيدة جروز : « كيف يمكنك أن تتأكدى من ذلك ، طفلة فى الثامنة لا تستطيع أن تفكر على هذا النحو »

فأجبت : « أعرف من خلال تسمعاتها . كانت تحاول أن تحول انتباهى بعيدا عن الزائرة . فبدأت أغنى وتحدث الى نفسها . ثم أرتتى القارب الصغير الذى صنعت » .

وترددت للعللة • هسألتنى : • ألا إذا ماذا •

— أنت تذكرين بالطبع خطاب مدرسة مايلز • وعندما ناقشنا المسألة ، قلت أن مايلز يكون سيئا في بعض الأحيان لكننى منذ عرفته فهو دائما ما يتصرف بشكل طيب • لكن المدرسة اكتشفت بعض الأخطاء التى صدرت منه ، وأنت تعرفين على الأقل مثلا واحدا من تصرفاته السيئة فقللى لى ما هو •

فأجابت : • هو تعلقه بكوينت • وكما كان يذرقنى جدا وجودهما دائما مع بعضهما - واستمر ذلك لعدة شهور • ولم يكن من الصواب انلاقا أن يكونا يمثل هذه الصداقة الحميمة ، وتحدثت الى الأئمة جيزيل بخصوص ذلك • • وماذا قالت •

— قالت أن ذلك ليس من اختصاصى • بعد ذلك قلت لمايلز ، انه لابد لذلك الحساب أن يعرف مركزه فى هذا البيت

قلت : • كنت ناقصين بذلك أن كوينت مجرد خدام خاص ، وليس من المناسب أن يكون صديقا له • •

— أجل • ولم تمنعنى اجابته على • وكان يتناقش معى بخصوص ذلك فى كل مناسبة • كنت أصرف انهما كانا يقضيان ساعات طويلة أحيانا ، كما لو أن كوينت كان مسئولا عنه • لكن مايلز كان يقول أن ذلك ليس صحيحا •

— فهمت • كذب عليك إذن ؟

— اعتقد ذلك • فى حين أن الأئمة جيزيل لم تكن تمنحه من مرافقة كوينت • لم تكن نهتم بالأمر على الإطلاق • — ألم يذكر مايلز أبدا وجود أى علاقة بين الأئمة جيزيل وكوينت ؟ هل تعتقدن أنه كان علم بعلاقتهما ؟

فصاحت : أوه ، لا أعرف • لا أعرف !

— أنا اعتقد أنه ربما كان على علم بذلك فعلا ، وكان يحاول أن يخفى ذلك عنك • فطالما كذب عليك ، فلا بأس بشيء من الخداع •

فطالبت السيدة جروز : اه ، ذلك ليس شيئا حسنا !

فاجبت : « وخطاب المدرسة أيضا ليس بالشيء الحسن
كذلك » .

— ... لكن اذا كان هو يمثل هذا النوع ، فكيف يكون
اذاً يمثل هذه العملية الآن ؟

قلت : « فعلا ، كيف ، كيف ؟ أرجو أن نمضى
على هذا السؤال مرة أخرى لأننى لا أستطيع الاجابة عليه
الآن » فيكفينى أن أعرف أنه بينما كان مع ذلك الرجل «
— كانت فلورا مع المرأة » الوضع مناسب لهم جميعا .

ولقد عبرت السيدة جروز بتكلماتها افكارى عن اسوأ
مخاضى . لم أشرح لها الأمر واكتفيت بقولى : « ينبغي على
مراقبتكما الآن أكثر من اى وقت مضى » .

نهضت لتصرف . وعند الباب قالت : انت بالتاكيد
لا تتهمين مايلز بمقابلة كوينت سرا ؟

قلت : « أنا لم أنهم أحدا بعد » يجب أن انتظر حتى
أرى ماذا يحدث !! »

- ٩ -

انتظرت وانتظرت . وبعضى الأيام أصبحت أكثر
مدروءا . ولم تمض أيام كثيرة ، مضت من اى أحداث جديدة
حتى استعاد ذهنى صفاء مرة ثانية .

فقد جعل الطفلان عملى بمثابة مساعدة كبيرة لى ،
وسرعان ما اكتشفت مدى اجتهادهما . ولم يكن مصدر
مساعدتى هو أداء واجباتهما المدرسية ، بل كانا لا يكلان أبدا
عن ايجاد اى وسيلة جديدة لتسليشى وإسعادى .

كانا بحبان رواية الحكايات لى ، أو قراءتها لى .
كانا يمثلان بعض المشاهد الصغيرة لامناعى . كما بهرنى
أيضا ذاكرتهما الدهشة . فكانا يستمعان عن ظهر قلب
اشعارا طويلة كنا قد قرأناها سويا ، واعتقد أنهما حفظا هذه

الاشعار سرا مجرد اسعادي . تقدم مايلز تقدما ملحوظا
في دراسته ، ومن المحتمل اننى بسبب ذلك لم اشغل فكرى
بالبحث عن مدرسة اخرى .

حتى بعد ان غادرت « بلوى » كنت احاول اكتشاف تفسير
معقول لمهاراته المذهلة . . بدا لنا اننا نعيش فوق سحابة
ذهبية من المنجاج والبهجة . كان بعرف على البيانو برشاقة
وجمال ، وكنت اجلس لاستمع اليه ، اكثر مما كان يشغلى
على التربية ان تفعل . . ويبدو انه فى ذلك الوقت كان واقعا
تحت تأثير قوى على ذهنه ، جعل حواسه متعطشة كالنمل
الحاد اللامع .

وكان من السهل على ان اقول البحث عن مدرسة
بالتسوية للسبب الصغير ذلك انه لم يفقد شيئا ببقائه فى
البيت وهذا ما جعل الخطاب الذى ارسله ناظر المدرسة يظل
سرا كهيلا .

لم انس بطبيعة الحال الانكسار الغريبة التى جعلتنى
اخذته الفكر فيها . فتجربتنى معها هذه البهيمية شحذت

اهتمامى بكلما للطفلين ، وكنت اتعامل عما اذا كان ضمنا
سبب ذلك .

كانت هناك اوقات لا استطيع فيها ان اقوم ابداه حيا
لها ، لكنى دائما كنت اخاف بعض الضرر من فعل ذلك ،
فربما يلاحظان المشقة التى يتسببها هذا الحب . واكتشفت
صدفة ملاعب اتفاق سرى بينهما : فعلى حين يقوم احدهما
بشغلى يتسلى الآخر الى الخارج . لكن فى معظم الأحيان
كنت اتواجد مع كليهما ، ولم يحدث أى شيء غير عادى .

على الأقل لم يحدث شيء غير عادى لمدة تزيد على
ثلاثة اشابيع . ثم حدث ذات مساء ان شعرت بلمسة
باردة غريبة فى البيت .

كنت فى حجرة النوم التى اشارك فيها فلورا ، لكننى لم
اكن قد ذهبت الى الفراش بعد ، كان الصباح مضيقا ، وانا
اجلس على كرسي مريح ، اقرا . فقد كانت فى « بلوى »
حجرة مليئة بالكتب القديمة ، كثير منها كان مغنوصا من
دخول بيتنا المهادى ، ولذا فقد اثارنا لضولى . وانكر ان

نظر إلى يتلمس النظرة التي نظر بها إلى من فوق البرج
ومن خلال النافذة • عرفني تماما مثلما عرفته • وولفتنا
وجها لوجه تحت ضوء القمر البارد • وفي هذه المرة تعرفت
عليه تماما ككائن حي كريمة وعدو خطير • لكن لم يكن ذلك
هو الشيء الغريب في لقائنا ، انما الاخرى من ذلك هو أنني
لم أشعر بأدنى خوف •

لقد أصابني بالطبع الكثير من الألم والانزعاج بعد ذلك
اللمحة الأولى ، لكن شكرا لله على أنني لم أشعر بالخوف •
وعرف أنني لمست خاتمة منه • ولم أكن أعين في نفسي أبدا
أن أكون بمثل هذه الشجاعة الفائقة ، وكل ما اعتقده أن
هناك مؤثرات أخرى تفوقت على مشاعري العادية • وثأكت
أنني لو وقفت أمامه بعزم ، فلن يصيبني بأذى • وبينما
كنت ألق هناك ، بدا لي الأمر وكأنه لقاء بانسان مرعب
أو مجرم أو شخص مجنون خلال الليل وفي بيت أهله ينام •
ولو كنت قابلت مجرما في نفس المكان ونفس التوقيت ،
لكنا تبادلنا الكلام على الأقل مع بعضنا • لكن كويبت وأنا
كنا صامتين ، وهذا هو الجزء غير الطبيعي في لقائنا •

الكتاب الذي كنت اقرأه كان بعنوان • كلاج اميليا • واذكر
كذلك أن الوقت كان متاخرا جدا ، لكنني كنت يقطعة تماما •
وكانت فلورا نائمة بالطبع منذ عدة ساعات في سرير صغير
بجوار مسريري ، وكنت قد أسسدت مسكنا المسريير
(الناموسية) • ورغم أنني كنت مشدودة تماما إلى الكتاب
إلا أن قوة شديدة جعلتني اتطلع فجأة إلى باب غرفتي •

انصت للحظة ، مذكرة الأصوات التي سمعتها في الليلة
الأولى لوجودي في البيت • نحييت الكتاب جانبا بحرص ،
وانتقلت المصباح وخرجت بهدوء من الغرفة وأغلقت الباب
خلفي •

وبدون أن أعرف لماذا ، سررت مباشرة عبر الممر إلى
النافذة الطويلة الموجودة بأعلى السلم • وعندما وصلت
إليها • حدثت ثلاثة أشياء دفعة واحدة • هبة ربح فجائية
أطفت المصباح الذي في يدي • ضوء القمر المستقيم
يخترق النافذة ، ولا حظت وجود شخص على بسطة السلم •
عرفت في الحال أنه كويبت • وكان تقريبا قد وصل إلى
النافذة ، ولكن عندما رأيته توقف •

لم نتكلم أو نتحرك قيد أنملة ، ومسر الوقت بطيئاً •
لا استطع وصف ما حدث بعد ذلك ، فيما عدا أن الشخص
استدار وبدأ يختفى داخل الصمت ذاته • رأيته يستدير
بوضوح ، بالخطب وكان كوينت خادم حى ، أصدرت له
أمرًا بالتصريف • وسمرت عبر بسطة السلم من الطلام ••

- ١٠ -

استغرق الأمر منى عدة لحظات لأدرك ضمناً أن زائري
قد اختفى • بعدها عدت إلى حجرى •

أضأت الصباح ثانية فرائت على الفور سرير فلورا
الصغير خالها • كانت الستائر (الناموسية) مسدلة حوله ،
لكننى استطعت أن أرى من خلال قماشها الخفيف أن الطفلة
ليست موجودة فى السرير • فى تلك اللحظة انناهى الخوف
حقيقة !

البقت بسرعة ناحية صوت مصدر من ناحية النافذة
ولشد ما أرتعت عندما ظهرت فلورا من خلف الستائر •
كانت تقف هناك فى قميص نوحها ، نظرت قدميها الصغيرتان
من تحته • بدت جادة جداً • وعندما تحدثت إلى ، فقدت

فى التوكل المميزات التى كسبناها من مقابلتى الاخيرة مع
كوبنت ، واحسست بالخسارة بعداثة .

سألتنى : أين كنت فى ذلك الوقت المأخوخر من الليل ؟

وبدلا من سؤالها عن سبب تركها لسريرتها وذهابها
الى النافذة ، اخذت ابرر لها سبب غيابى ، ولم يكن ذلك
بالشئىء الهين . اما حسى فقد يورت نصرتها بهمساحة
وبحماس . فلقد اكتشفت فجاة . وهى رايدة هناك ، اننى
خارج الغرفة ، فلهضمت لفرى ماذا حدث لى .

فى ذلك الوقت كنت جالسة على مقعدى ثالثة ، فاتجهت
ناحيته مباشرة ، وجلسمت على ركبتى ، وانمكس ضسوء
الصباح على وجهها الجميل . سألتها : هل اعتقدت اننى
كنت انمشى فى الحديقة ؟

اقتبست لى : حسن . ظننت ان هناك شخصا ما .
قالت ذلك وكان نظرها مثبنا على .

— وهل رايت احدا ؟

لاجايت ببطة : « اوه ، بالطبع لا . »

فى تلك اللحظة كنت فى غاية القلق ، وتاكثت بكل صدق
انها كذبت على . اخلقت عبنى لكى اقاوم الفكرة التى
داهمتلى فجاة . لماذا لا اخبرها توا اننى اعرف سرها ؟
لماذا لا اقول لها : « لقد رايتها ، انت رايتها ، وانت تشكين
فى اننى اعرف ! فلماذا اذن لاتخبرينى بكل شئىء ؟ لو انك
قلت لى ، فيمكننا اذن ان نشترك فى المشكلة . بل ويمكننا
ان نعيش سويا هذا الشئىء المزعج ، وربما نتعلم معنى قدرنا
التخريب ؟ »

لكنى لم استطيع قول ذلك . وهكذا واصلنت معاناتى .
وقفت واتجهت ناحية سريرتها وسألتها : « لماذا انسدت
سنائر السرير ؟ الناموسية ؟ مرة ثانية ؟ حتى تجعلينى
اظن انك مازلت فى السرير ؟ »

فكرت فلورا فى ذلك ثم قالت بابقسامة : « لاننى لم ارد
ازعاجك »

— لكنك كنت تظنين اننى قد خرجت .

لم يصيبها اى شوع من الحيرة . ونظرت الى لهب

الصباح واجابت بسهولة : اوه ، نعم فقد كان من المستعمل
أن تعودى ثانية ، وها أنت قد عدت ا

ثم ذهبت الى الفراش ، وجلسنا انا الى جوارها لفترة ،
امسك بها حتى راحت في النوم اخيرا .

ولك أن تتخيل ما شعرت به ، خلال الليالي الثانية مدد
ذلك الوقت ، كنت أبقي متيقظة حتى لا أقوى على فتح عيني
وكنيت أختار اللحظات التي تكون ليها غلورا مستفرقة في
النوم وأخرج الى الممر وأسير فيه بهدوء حتى أوصول الى
النافذة حيث قابلت كوينت . لكنني لم أقابله هناك مسرة
ثانية ، وكنت أقول لنفسى ربما لن أراه مرة ثانية ابدا في
هذا البيت .

لكن ذات ليلة ضاعت منى همامة مختلفة على بسطة
السلم .

كانت بشائر النهار قد طلعت بالفعل وظهرت من خلال
النافذة . وتطلعت الى اسفل وعلى الفور تعرفت على ملاح
سيدة نجلس على درحة من درجات السلم السفلية وظهرها

لى - كان جسدها محنيا الى الامام وتمسك رأسها بين
يديها . تطلعت اليها للحظة قبل أن تخفى دون أن تلتفت
حولها . لكنني كنت أعرف أى وجه مرعب كنت سأراه لو
أننى كنت فى اسفل . وتساءلت عما اذا كنت لن أخاف منها
مثمنا حدث لى مع كوينت .

وعدت الأيام والليالي ، وفى الليلة الحادية عشرة بعد
مقابلتى الأخيرة مع كوينت انتابنى شيء من الخوف ، لأن
ماحدث شيء لم أكن أتوقعه ، وحصدنى بعنف .

كنت مجعدة جدا حتى اننى نمت مبكرة على غير العادة
لكن فى حوالى الواحدة استيقظت فجأة ، كما لو أن أحدا
هزنى بيده ، فقمعت جالسة فى السرير . لم أوجدت الصباح
الذى تركته مشتملا قد انطفأ فى تلك اللحظة ، وأحسنت
أن غلورا من التى املفاته بالتاكيد . نهضت وذهبت الى
سريرها فى الظلام . كان السرير خائبا . أشعلت عسود
ثقاب وامكننى رؤية شبحها خلف ستائر النافذة .

لقد تركت الطفلة سريرها ، وأطاف المصباح ، واتجهت

ناحية النافذة اقتطع الى الخارج . لم تزعجها حركتى على الإطلاق . فقد كانت مستتبكة ومحتمة خلف الستائر ، كان من الواضح ان شيئاً ما بالخارج يجذب انتباهها . وكان لسطوح القمر كاملاً ، أثر فى مساعدتها على ذلك . كما أنه نهض الى شيء ما . من المعتدل أنها تواجه الآن تلك المرأة التى قابلناها عند البحيرة وجهاً لوجه . كان مدار فى ذهني أن أغامر الصجرة فى هدوء دون أن أزعجها . وأطل من نافذة أخرى يمكنني من خلالها أن أرى نفس المنظر . وحسلت الى الباب وأغلقت خلفي . وأخذت أنصت من الخارج لاي صوت يصدر عنها . لكنني لم أسمع شيئاً .

وبينما كنت ألقى الى البحر تطلعت الى باب حجرة نوم مايلز الذى كان قريباً مني . هل أدخل مباشرة وأتجه الى نافذته ؟ فكنت متحيزاً بالتأكد سبب تطلعي من النافذة ، وربما يساعد ذلك فى حل اللغز ؟ . . . اتجهت الى الباب وتوقفت قليلاً . ربما يكون هو الآخر يحتفظ بسر التطلع من النافذة . لم يكن هناك أي صوت فى الصجرة . ربما يكون مستغرقاً فى النوم . كانت المخاطرة بأزعاجه كبيرة . لذلك فقد تراجعت .

١٠٦

كنت على يقين بأن هناك شخصاً ما فى الحديقة . زائر كانت فلورا تمطيه كل اهتمامها . لكنه ليس الزائر الذى يهتم بمايلز ، كان هناك العديد من الغرف الخلفية فى ه بلاي . وكان من السهل العثور على حجرة ذات نافذة تطل على نفس المنظر مباشرة . وكانت الصجرة السفلية فى البرج القديم قريبة جداً مني . فأتجهت مباشرة اليها . ففى تقاصب غرضي تماماً .

كانت حجرة كبيرة مربعة لم تستغل منذ عدة أعوام لكن السيدة جروز كانت رغم ذلك تقوم بتنظيفها ، ومغروشة بعناية كحجرة نوم . كنت دائماً معجبة بها وأعرف طريقاً ألتبها بسهولة . دخلت الصجرة وتوجهت الى النافذة حيث أصبحت الحديقة تحت ناظري .

كان ضوء القمر يجعل الرؤية واضحة بشكل غير عادي . نظرت من النافذة ورأيت شخصاً يقف فوق العشب بين صفتين من أشجار طويلة . وبدأ حجم الشخص صغيراً عن على بعد . كان يقف ساكناً هادئاً ، يتطلع الى أعلى

البحر الموجود فوقى . وبعثت فى الحال أن هناك شخصا
أخر فى البحر . شخصا ما كان يقف فى المكان الذى رأيت
فيه كوبنت أول مرة . لكن الشخص الواقف فوق العشب
لم يكن كوبنت ولا الأنسة جيزيل . وعندما اكتشفت الحقيقة
أحسست بالسم لقد كان الشخص الذى كان ينظر الى أعلى
من الحديقة هو مايلز نفسه !

- ١١ -

وعلى الفور هبطت السلم وخرجت الى الحديقة .
وعندما ظهرت فى ضوء القمر ، اتجه مايلز الى ، وأمسكت
بيده . وسو أن انطق بكلمة سرت به عبر الممرات المظلمة
حتى وصلنا الى بسطة السلم التى ظهر فيها كوبنت من قبل
لأجله . وتوجهنا الى غرفته ، حيث الباب الذى وقفت عنده
انصت وأرتعد .

خلال سيرتنا كنت أسأل نفسى عن المبررات التى
سأقدمها . لا بد أن تكون أشياء لا يمكن أن أصدقها . لقد
ارتكب خطأ بتركه المنزل فى منتصف الليل . ولا يستطيع أن
يدعى ذلك مجرد لعبة . فى نفس الوقت كانت تواجهنى صعوبة
أنا أيضا .

فعد الآن وصاعدا سيصرف مايلز اننى كنت أراقبه .

ونساء كنت من النتيجة التي يمكن أن تحدث بناء على تلك المعرفة .

دخلنا الى حجرته . لم تكن المستأثر مسدولة . وضوء القمر ينير المكان ، ولم تكن بي حاجة لاشعال ثلثاب كان قرشي السرير مرتباً معاً يؤكد عدم استعماله على الاخلال . جلست على طرف السرير . وقلت :

— يجب أن تخبرني بالحقيقة بأمايلز . لماذا خرجت ؟ ماذا كنت تفعل هناك في الحديقة ؟

كانت هذه أسئلة عادية جداً . وعندما طرحتها عليه ، كنت أعلم أن باستطاعته أن يقول لي أي شيء يريد . أما إذا اعتبرت المسألة مجرد مظهر من مظاهر سوء السلوك ، فإن هاميلز لن يخشع شيئاً بعد ذلك . لكن لم يكن في استطاعتي تعاماً في تلك المرحلة إلا أن اعتبر الأمر كذلك . وكان من المستحيل بالنسبة لي ، أن أشير إلى موضوع كروينت إلى طفل مثل هذا في حجرة نومه وفي الساعة الواحدة صباحاً .

مازلت أذكر ابتسامته المشرقة . وعينيهِ الصافيتين ، وحسوته الهادئ عتوما قال : « لو أنني قلت لك عن السبب فهل مستعدين المرفق » .

وكأن قلبي يقفز الى لسانى . أيقول لي عن السبب ؟ ولم أستطع قول أي شيء . لكنني أجبت بحركة من رأسي .

قال : « حسن ، لقد خرجت كدتي تعتقدى . لمجرد التعبير بأفنى كنت ولداً سيئاً » .

قال ذلك بكلمات حلوة مرحة . ثم انحنى الى الامام وقبلني . كان ذلك نهاية كل شيء بالنسبة لي تقريباً . لم استطع أن أخرج عليه المزيد من الأسئلة .

كان تبريره كاملاً وتاماً . ولم يعطني أي فرصة للمناقشة على الاطلاق . بذلت جهداً كبيراً حتى لا أبكى . ونظرت الى أرجاء الحجرة . وقلت : « أنت لم تغير ملابسك »

— كلا ، فقد كنت جالساً اقرأ .

— ومتى نزلت الى الحديقة ؟

- في منتصف الليل • عندما أكون سميثا ، أكون سميثا بكل •

- أتهم • لكن كيف كنت متأكدًا بأنني سأبحث عنك ؟
وكانت أجابته حاضرة : « لقد وثبت ذلك مع ظورا ،
إن كان عليها أن تنهض وتطلع من النافذة » •
- هذا بالضبط ما فعلته •

- وبالتالي أنزعجت • فنهضت لتعرفني إلى ماذا
تنظر ، بعد ذلك رأيتني فوق العشب •
- أجل ، فوق العشب حيث كان من المحتمل أن تصاب
بالبرد !

فأبستم وقال : « وذلك ما يجعلني أسوأ » • ليس
اليس كذلك ؟ •
- نعم ، أعتقد ذلك !

- لكن أرجو أن تفكرني فيما يمكن أن أفعله !
عندئذ تركته وعدت إلى حجرني ، حيث كانت ظورا
قد عادت إلى سريرها ونامت • ودعيت إلى سريرى أيضا

لكنتى استأقوت منبقة لمدة ساعتين أو ثلاثة ، أفكر في
نلك الواقعة •

لم تنح لى فرصة عاجلة لأخبار المبيدة جروز بذلك
الموضوع • ذلك أننى أحكت مراقبى للطفلين لدرجة أنه
كان من الصعب أن أقابلها وحدها • وشعر كلاكنا أنه من
الهم جدا ألا نظهر من خلال نصسرفاتنا • أننا منزعجان
لذلك • فمعا لاشك فيه أن الخدم والطفلين سوف يتأكدون
بأن هناك أمرا ما ليس على مايرام لو رأونا لتناقض على
انفراد •

وكانت تصرفات المبيدة جروز الهادئة خير معين لى
فى ذلك الوقت • فلم يكن يبدو على وجهها البشوش أى
ملح من ملامح الخوف أو الانزعاج وأنا على يقين أنها
صنقت كل شيء فقلت لها • لكن لموه الحظ كان لديها
قصور فى خيالها • ولم تكن لتستطيع أن ترى فى الطفلين
إلا جمالهما واشراقهما واجتهادهما • وكانت مضاعرها
تتمدد فقط على ماتسطيع رؤيته • وبالتالي فلو أن كويبت
والآنسة جيمزيل كان لهما تأثير واضح على مايلز وغلورا

فلم تكن السيدة جرور تستطيع أن تثبطه بالطبع ، والا
لكان سلوكها قد تغير . . . لقد عرفت ما كانت تفكر فيه .
لقد كان كل ما تستطيع أن تفعله هو أن تمد ذراعيها
البياضتين أمامها وتتنظر إلى الطفلين في هدوء وتقول
لنفسها : « حسن ، حتى لو تحطمت طيبتهما ، فإن شطايا
هذا المتحطم ستهدو لي على مايرام » .

وبمرور الوقت ، دون وفور أى حادث له اثره ، فقد
قررت أن الطفلين يمكن أن يقوموا برعاية نفسيهما ، وكترست
كل عواطفها الآن لتلك الحالة الحزينة التي انتابت
مرييتهما .

في مساء اليوم التالي أخرجت حفعتين إلى الشرفة
الموجودة أمام الباب الخارجى ، ودعوت السيدة جرور
للجلوس معى . كان هابلز وفلورا يقرآن في الحديقة على
مائدة قصيرة هنا . نظرت إليهما كما تفعل عادة ، ثم
التفت إلى كما لو كان من واجبها أن تحاول رؤيتهما لما
رايتهما اتا . كانت على استعداد لسماع آخر أخبارى .

أخبرنها بكل ماحدث في الليلة السابقة ، وفي النهاية
لقت لها : « أن كلماته الأخيرة لى . هسى إسم الكلمات
جسعا بالطبع خلف حسمت الموضوع حقيفة » . فقد قال :
أرجو أن تفكرى فيما يمكن أن إفعله » . قال ذلك ليبيين لى
إمه لى أحسن أحواله الآن . وهو يعرف تماما ماذا « يمكن
أن يفعل » . وتلظر المدرسة يعرف أيضا . وذلك هو السبب
فى طرده من المدرسة .

قصاحت السيدة جرور : إذن ، فقد عبرت من رأيه !

— كلا ، أنا لم أخبر وايس . . . لكننى بدأت أفهم أكثر
الآن . أن هابلز وفلورا يقابلان كوينت والأنسة هيجزيل
بصفة دائمة . وبممكنك التأكد من ذلك . ولو أنك كنت مع

أحد الطفلين هي تلك الليالي الماضية، تكنت أدركت ذلك أيضا .
والشيء الذي يجعلني متأكدة تماما هو صمتهما اللسان .
فلم ينطق أحدهما بكلمة أبدا من كويشت أو الأتمة جيزيل .
كما أن هابلز لم يتحدث إطلاقا عن مدرسته أو عن الصبيب
في طرده . والغريب جدا الآن أن الطفلين يلتزمان الصمت
النائم بخصوص أمور أو أناس يعرفان عنهم كل شيء .
أوه . من الممكن بالطبع أن نجلس هنا وننتظر اليههما
ونعتقد أنهما على مايرام . لكن الحقيقة هي أن هابلز لا يقرأ
لظهورا ، وأنت تعرفين ذلك . هو يتظاهر فقط بالقراءة
إيهما يتحدثان عن صديقيهما الميتين ، اللذين عادا إليهما !
أنه يحكي لها عما رآه الليلة الماضية . أنا أعرف أنني
أنتكلم ، كما لو كنت امرأة مجنونة . لكن الأشياء التي
رايتها جعلت الأمر واضحا تماما بالنسبة لي ، وجعلتني
أفكر في أمور أخرى كذلك .

ألم تعرف السيدة جروز ماذا تقول ، وايفت بصريا
على الطفلين كما لو كانا سيئاهما ، ثم قالت : « ما هي
الأشياء الأخرى التي فكرت فيها ؟ »

فأجبت : « إنها تلك الأشياء التي اسمدني وشعلني
بها ، وهي نفس الوقت هي الأشياء التي جهرتني وأتعبتني .
ذلك الجمال الفائق الذي ينسجم به الطفلان ، وذلك الأدب
والسلوك الزائد عن الحد . »

خسعت وتوقفت ، ثم وأصليت كلامي : « اعتقد أنهما
لعبة ، خطة لخداشنا . »

نظرت مباشرة إلى الطفلين وقالت : « هل تعين إيهما
بفدعائنا ؟ »

... نعم . رغم إيهما مجرد طفلين ، وذلك بالأسبق
ما أعتبه ، وأنا أعرف أن ذلك يبدو نوعا من الجنون .
كان من السهل أن تتعابش معهما ، لأنهما ببساطة يعيشان
حياتهما بطريقتهم . إيهما لا يخاصني . لا يخاصنا .
فما بخصائنه وبخصائنها !

... نغصدين كويشت وتلك المرأة ؟

... نعم . الطفلان يودان الذهاب إليهما .

فهاكئي السيدة جروز : « لكن لماذا ؟ يودان الذهاب
إليهما ؟ »

— لأنهما يحبّان تلك الأعمال الشريرة التي علمها لهما
كولينت وتلك المرأة في تلك الأيام المزجة . ثم عاد الاثنان
ليعلماهما المزيد ، ليواصل عملهما الشيطاني !

نظرت إلى . ويبدو أن الذكريات أضاءت وجهها . لم
تتمرّس على كلماتي وقالت : نعم . لقد كانا زوجا من
الشياطين قسلا ! لكن ماذا بإمكانهما أن يفعلا الآن ؟
فكلاهما ميت !

— أن يفعلا ؟ !

قلت ذلك بصوت مرتفع حتى أن هايلز وقلورا التفتا
إلينا . بعدها قلت بصوت أهدأ : « ألم يفعلا ما فيه الكفاية ؟
أن بإمكانهما أن يصلحاهما ! »

وبدا من الواضح أنها لم تفهم ذلك ، لأنها لم تقل
شيئا . توقفت لحظة ثم وأصليت كلامي : « في تلك الأيام
الماضية ، لم يكن كولينت والمرأة يعرفان إلى أي مدى يمكن
أن ينجها ، لكنهما كانا يحاولان جدهما . وفي الوقت
الحالسي يظهران للطفلين من على بعد ، في الأماكن

المفتوحة . خارج النافذة ، فوق قمة البرج ، على الجانب
الأخر للبحيرة . وخطبهما أن يقرّيا المسافة ويتفلبا على
كل الصعاب . والطفلان شغوفان بمساعدتهما ، وهكذا
فإن نجاح هذين الشيطانين إنما هو مسألة وقت فقط .
ولسوف يواصلان ذلك ليوحيا بأن الشر والخطر وشيك
الوقوع .

— وهل تصنّدين بأن الطفلين سيذهبان إليهما ؟

— نعم . وستكون تلك هي النهاية !

نهضت السيدة جروز ببطء ، فاضطت قائلة : إلا إذا
استطعنا منعهما بالطبع !

وبدأت نقلب المسألة في رأسها وهي وافقة أمامي ثم
قالت :

— يجب أن يمنعهما معهما . ينبغي أن يأخذهما بعيدا
عن هنا .

مائلتها : « ومن الذي سيجعله يفعل ذلك ؟ »

— أنت ، يا أنسة ؟

— كيف ؟ بأن اكتب له رسالة اقول فيها ان بيته مسمم
بأشياء شديدة وان ابن وبنت أخيه شريران أيضا ؟

— لكك تقولين انهما كذلك ، يا أنسة ؟

— ستكون هذه أخبار مزعجة ، حتى نبعث بها الى
شمس وضع ثقته في . وتذكرى اننى وعدته مخلصه بالا
أزوجه .

قدرت السيدة جروز الموقف وقالت : « اجل ، أعرف
انه يكره الأزعاج . وذلك هو السبب فى . . . »

— فى ان كوينت والوراثة قد خدعاه لفترة طويلة ؟
اجل . كنت أشعر بذلك . لكننى لن أخدعه !

— هل فى امكانك ان تجعليه يحضر الى هنا ، من
اجلك ؟

— من اجلى ؟

وغماة خشيت مما يمكن ان تفعله .

— نعم . ينبغي ان يحضر الى هنا . ينبغي ان يحضر
لمساعدتك .

فهبست بسرعة وقلت : « كلا ! لن اطلب منه ان يحضر
لإبارتنا . فلنسوف ونسلك من أفكارى ويسخر من ضلعى
» وبالإضافة الى ذلك كله ، سوف يعتقد اننى تعبت من
وجودى وحدى ، واننى قد اختلعت هذه الأشياء حتى
أجعله يحضر الى هنا . »

فلا احد كان يعلم . ولاحتى السيدة جروز . كم
كنت فذورة حتى اليوم بخدمته . وكم كنت مصممة على
الالتزام بانفاقنا . لذا فقد فكرت انه من الضروري ان
أحذرهما فقلت لهما : « اذا كانت الحماقة قد وصلت بك الى
الحد الذى تطلبين منى ان أجعلك يحضر الى هنا من
اجلى . . . »

فارتعبت حقيقة وتسألت : « نعم ، يا أنسة ؟ »

— فلابد ان أغادر « بلاى » على الفور وبلا رجعة !

خلال الشهر التالي زادت إحدى مشاكل وأصبحت أكثر سوءاً . فلم أعد أستطيع الكلام مع الطفلين بمثل تلك السهولة التي كانت تحدث من قبل .

فخلال مناقشاتنا أصبح هناك موضوع لا نستطيع الاقتراب منه بمثل جدور جيفنا ، وكان الطفلان على وعي تام بذلك نفس القدر ، الذي أعبه أنا . وعندما كنا نقرب من هذا الجدار أثناء كلامنا ، كنا نتوقف فجأة . وبينعد كل منا عن الآخر .

كان الموضوع المنوع الكلام فيه هو كل ما يتعلق بحياة الطفلين قبل أن أحضر إلى « بلاي » ، ومدرسة مايلز ، وبصفة عامة كل كلام يتعلق بالوفاة أو عودة الوفاة

•• ولا اعتقد أننا استطعنا أن نتجنب هذه الموضوعات بنجاح كبير دون أعداد ترتيبات خفية بشكل كبير •

ورغم أنني لم أعترف على أي شيء من حياة الطفلين الماضية ، لقد كانا شغوفين جداً لمعرفة كل تفاصيل حياتي الخاصة ، وأن اتحدث إليهما عن طفولتي وبيتي الذي كان خارج نطاق مشاكلي الحالية •• وقبل أن ينتهي الشهر كنا يعرفان كل شيء حدث لي ولأخوتي وأخواتي حتى ماحدث لطفلتنا وكلينا • تحدثنا عن عادات أمي المحلية • وعن ترتيب الأثاث في بيتنا ، وعن هجوز قريتنا وأحاديثها •• كان لدى الكثير لأقوله • وكان الطفلان يشجعاني على تذكر كل تفصيلة صغيرة من تفصيلات الماضي •

وبعد ذلك • عندما كنت أفكر فيما كان يحدث في هذه المناسبات ، كنت أحس بالثقل في نيتهما ، وأحسست بأنهما كانا يراقبانني طوال الوقت في سرية •

وهكذا مرت الأيام ، ولم أهدأ أبداً من كوينت أو الأنسة جيزيل ، رغم وجود أماكن مظلمة مديدة في

بلاى • كنت أتوقع ظهور كوينت فيها ، كذلك فقد كانت هناك مناسبات عديدة ملائمة لظهور الأنسة جيزيل مرة ثانية • وانتهى فصل الصيف ، وانعكس لون السماء الرمادي على المكان كله •

كانت الحديقة بممراتها الخالية ، والأوراق الجافة المتناثرة في كل مكان ، بمثابة مسرح حال بعد انقضاء العرض • بمعنى أن الظروف كانت مهيأة تماماً لعودة زوارنا ، وكان في أمكاني أن أعرف المكان وفي أي وقت من اليوم • وأين يمكن أن نتقابل • لكنني لم أرى شيئاً لا في داخل البيت أو خارجه • لم أكن أرغب في رؤيته •

من الغريب فعلاً قول ذلك • لكنني كنت منزعجة إلى حد ما من عدم ظهور كوينت والأنسة جيزيل مرة ثانية • وأرجعت فشلي في عدم رؤيتهما ربما بسبب فقدانني لغدوتي على رؤيتهما • وعندما عبرت عن مخاوفي للسيدة جروز ، فيما يتصل بالأنسة جيزيل حيرها ذلك • لكنني لم أفصح عنها • أما عن الحقيقة فكانت كالتالي : أنه لم يثبت بعد بالتأكيد أن الطفلين استطاعا حقيقة رؤية كوينت أو الأنسة

جيزيل . كما رأيتهما أنا . وحتى أؤكد من ذلك . فقد
فضلت أن تكون لدى صورة كاملة عن الموضوع كله .
فقد كنت أريد أن أرى وأن أعرف أمورا ما يمكن رؤيته أو
معرفة في « بلاي » .

أما من الوقت الحالي فلم يظهر إلى الآن شيء يسر
رؤيته . وودت أن أشكر الله على كرمه . لكن كانت تعمل
دون ذلك عقبة واحدة . فكم كنت أود أن أشكره من سميم
قلبي لو تأكدت تماما من أن الطفلين لا يشاركان في هم ذلك
السر .

كيف يمكنني أن أصف البريم المرحل التي تطور بها
هذا الاحساس في ذهني ؟ . كانت هناك أوقات كنت على
استعداد لأن أقسم بأن كويلت والأنتسة جيزيل كانا معنا
في حجرة الدراسة . وفي أوقات أخرى لم يكن في حديدي
أن أرى زائرنا . بل أحس بوجودهما فقط . أحيانا كنت
أود أن أصرخ : « انهما هنا . انهما هنا . لابد أن يعترفوا
بذلك الآن ! » لكن صرخة غضب مثل هذه . قد تسبب من
الضرر أكثر مما هو خير . وبالتالي لم أقل شيئا . كما
أن الطفلين لا يعرفان بأي شيء كذلك .

لقد صدمت بنسبة عندما اكتشفت وجود ما يلز في
الحديقة . ينظر إلى قبة البرج . في المساعة الواحدة
صباحا . والتمني هذا الاكتشاف بفكرة جديدة . وذات
مرة أو مرتين كنت أن أواجه الصبي بالحوال مباشرة .
كنت أخلق باب حجرتي على نفسي لأفكر في الفصل سبيل
لطرف الموضوع . لكن دائما كنت اتخلي عن التفكير في
المشكلة عندما أثبت أن يتعلم على ذكر الأسماء . كانت
هذه مشكلة لطيفة للغاية . لقد كان نقاشي مع نفسي
ينتهي دائما بهذه الكلمات : « أن الطفلين على قدر كبير
من الأنس بما يسمح لهما بأن يطلا صامتين . لكن أنت .
مريدتهم الوثوق فيها . أسلوبك سيء في الكلام » . وكان
وجهي يصفر من الانفعال . ومرعان ما أطرح نفسي في
الغرض .

بعد هذه المشاهد الخاصة . أخذت اتحدث إلى تلميذي
بحرية على قدر ما أستطيع . وصارت حياتنا بشكل هادي
حتى . حتى شعرت ثانية بذلك الجمود الغريب . ذلك
الصمت . لكنه لم يكن صمتا ولا مكونا . كان يتجسد
في الحقيقة على هيئة ضحكة عالية . أو مناقشة حامية .

أو عزف نغمة موسيقية بطريقة حادة • وعرفت بعد ذلك
أن كوينت والآنسة جيزيل كانتا موجودين لكن دون أن
يراهما أحد • واضطربت خوفاً من أن يهدأ سبيلاً لإرسال
بعض الرسائل المزعجة إلى الطفلين دون علمي •

كان أسوأ ما أخشاه في الحقيقة ، أنهما قد بكونا رأيا
أكثر مما رأيت أنا • رأيا أشياء سببه لم استطع أنا حتى
أن أتخيلها • ولأشك أنه كنا جميعاً يشاهدنا شيء من
الخوف أحياناً ، وكنا نبذل جهدنا في إخفاء ذلك •

وحشي نضع نهاية لهذه الأوقات العصيبة ، كان
الطفلان يقبلاني • وكان أحدهما أو الآخر يوجه إلى
السؤال الأشهر • وكان ذلك السؤال هو الذي يساعدنا في
التغلب على الكثير من هذه اللحظات المتعبة : « متى
تعتقدين أنه سيجزر ؟ » « أنه هذا » ، كان بالطبع معهما
الذي يقطن في شارع هارلي ، وكنا تعيش على أمل أنه
قد يحضر في أي لحظة • ولم يحدث أبداً أن قال أو كتب
كلمة تدعم هذا الاعتقاد ، بل أن ذلك لم يشتر على باله
إطلاقاً •

ولا اعتقد أنه كتب للطفلين أبداً • ربما نكون هذا
إنانية منه ، لكنها بالنسبة لي نوع من الثقة التامة في •
وفي مقابل ذلك فقد حملت مسئولية اتفاقنا كاملة ، ولم
أكتب إليه • • • وقلت لتلميذي أن خطاباتها له ستكون مجرد
نوعين مفيد في قواعد اللغة الإنجليزية • وأخسفت أن
خطاباتها كانت في منتهى الجمال حتى نشوء بجانم
البريد • واحتفظت بها جميعاً لنفسى ، ومازالت لدي حتى
اليوم •

وعندما أعود بفكري إلى تلك الأيام الغريبة • تصبينى
الدخشة ، لأنني لم أفقد صبري مع الطفلين • فلقد أصبحت
بقينا أنهما بخدعائسى • ورغم ذلك مازلت أحبهما !
ولا أستطيع القول كم يستمر ذلك الشعور ، حتى لو لم
أصل إلى نوع من الراحة • وأنا أطلق عليها راحة ، لكنها
كانت تلك النوع من الراحة التي تأتي طرفة واحدة عندما
تضيق الأمور • • وأخيراً حدث التغيير وجاء بكل اندفاع
وفورة !

في صباح يوم أحد كنت أنا ومايلز في طريقنا إلى الكنيسة - وكانت السيدة جروز وفلورا إلى جانبها نتقدمنا

كان يومنا باردا لا مسحاب فيه كان يوما من تلك الأيام الأولى التي شئنا بقدوم الشتاء .

كنت أفكر في مدى صداقتي بأن' التلميذين كانا مثالا للأطفال الطيحين . كنت الازمهما طوال اليوم ، وكل يوم فلماذا إذن لم ينبهما من ذلك ؟ ومايلز على وجه الضموم ربما يفكر الانسان - قد يكره أن يكون مراقبا من قبل مربيته طوال الوقت . فقد كنت بعثابة حارس مكلف بحراستهما لمنع أى أحداث مفاجئة أو محاولة للهروب .

كان مايلز يرادى أفضل حلة ، صنعت خصيصا له



منى ساعود الى المدرسة ١١

عند الحائك الخاص لعمه ، وبدأ معززا بنفسه وكأنه
شاب ناضج يعتمد على نفسه ، وعلى وهي ثام بكافسة
حقوله وواجباته ، لدرجة أنني أحسست لو أنه فجأة
ماتلبنى بحريته ، فلن يكون بإمكانى أن أقسول شيئا ،
وللصدفة الغريبة كنت أسأله في هذه اللحظة في كيفية
مواجهة مثل هذا الموقف ! وتكلم مابلز ، وكنت أنا على
استعداد لمواجهة الموقف وجها لوجه .

قال بطريقته الجذابة : « اسمعى ، يا عزيزتى ، منى ،
ارجوك ، ساعود ثانية الى المدرسة ؟ »

والكلام الذى قاله وكما هو بدون هنا لا يبدو فيه
أننى خسر ، وقد قال مابلز الكلمات بطريقته اللطيفة ،
وبصوته اللامعالى الذى كان دائما مايجيب به على أسئلتى
توقفت فجأة ، كما لو أن شجرة من اشجار الحديقة قد
سقطت عبر الطريق ، وتحققت على الفور بأن هناك
شيئا جديدا بيننا ، وعرف مابلز في الحال اننى تفقت من
ذلك ، وعرف أيضا أنه قد كسب نقطة شدى ، لأننى في
البداية لم أستطع التفكير في شيء اقوله ، وحقيقة كنت

بطيئة جدا في الرد عليه حتى أنه كانت لديه الفرصة
ليواصل كلامه : « لا تترين ، أنه من اللطيف جدا ، أن
يكون الإنسان بصحبة سيدة بشكل دائم ؟ »

وكان ينبغي على أن أكون حريصة فيما أقول . وأذكر
أنني حاولت أن أضحك لكي أكمب بعض الوقت ، لكنني
اعتقد أنها كانت ضحكة غريبة وقبيحة . ثم قلت : « ودائما
مع نفس السيدة ؟ »

لم يظهر أي تغيير في ملامح وجهه ، لكن السر لم يعد
سرا بعد . قال : « اه ، وبالطبع فهي سيدة رائعة ، لكن
على أي حال فأنا أنسان . حسن ، فاضحح . »

فانقطع في يدي وقلت : « أجل ، أنت أنسان فاضحح . »
« ولم أستطع التفكير في شيء آخر القوله أو الفعله . »

ويبدو أنه عرف أنه قد أسقط في يدي فقال : « وبالتالي
لاستطيعين أن تقولي بأنني لم أكن أنسانا جيدا ، هل في
إمكانك ؟ »

كان الرضع سيكون أفضل لو أننا كنا واحلنا السير .

لكنني لم أكن قادرة تماما على فعل ذلك : « كلا ، لا أستطيع
أن أقول ذلك ، بأمايلز » .

« فيما عدا ذلك الليلة بالذات ! »

« أو ؟ أي ليلة تلك ؟ »

« عندما نزلت إلى أسفل - وخرجت من البيت » .

« أوه ، نعم . لكنني نسيت ، لماذا فعلت ذلك » .

« و نسيت ؟ » .

وكان في صوته رنة لوم خفيفة . وأكمل :

« حسن ، لقد فعلت ذلك ليجرد أن أريك أنني أستطيع
فعل ذلك ، ا »

« أجل ، هذا صحيح - أنت تستطيع . »

« وأستطيع أن أفعله مرة ثانية . »

« بالتأكيد تستطيع . لكنك لا ترغب . »

« كلا ، أنا لا أرغب في فعل ذلك ثانية ! »

بدائنا نواصل السير ، فأكمل كلامه : « إذن متى سأعود
إلى المدرسة » .

سألته : « هل كنت سعيدا جدا في المدرسة » .

فكر للحظة : « اوه ، أنا أكون سعيدا بما فيه الكفاية
في أى مكان !

لاجبتة : « حسن إذن ، مادمت تشعر بالسعادة هنا .

« اه ، لكن ليس هذا هو الشيء الاساسى ، انت
بالطبع فى استعاضتك ان تعلمبسى كثيرا ، لكن ... »
وتوقف .

« حسن ، ماهو الشيء الاساسى ؟

« هو اننى ، أريد أن أعرف على مزيد من الحياة .

« فهمت ، فهمت !

كنا قد أصبحنا فى تلك اللحظة امام الكنيسة . وكان
هناك العديد من الناس ، ومن بينهم بعض خدم « بلاى »
يقفون عند الباب ، ينتظروننا لندخل . بدأت أمسرح فى
الشيء ، فقد كنت أريد أن ادخل الى الكنيسة قبل أن يستطيع
قول أى شيء آخر ، ففى الكنيسة سوف يلتزم الصمت

لمدة ساعة او مزيد وفكرت بسعادة فى تلك الأضواء الخافتة
بالداخل وتلك الراحة ونحن على مقاعدنا . كنت كمن بجري
فى سباق ينوع من الضيق ، وقبل أن ندخل الى فناء
الكنيسة قال فجأة : « أريد أن أكون مع الناس مطلقا أكون
مع نفسى !

قفزت خطوة الى الامام وقلت : « ليس هناك الكثير من
احذالك ، ياهايلز ! » ثم ضحكت واضففت : « هناك فلورا
بالطبع !

« أتقارنين بينى وبين بنت صغيرة ؟

شعرت بالضعف : « لكنك تسب فلورا ، اليس كذلك ؟ »

فقال : « وانت أيضا ، لكن لو لم ... ، لو لم ... »
وأخذ يردد « ونصوت أنه سوف يخبرنى ، لكنه لم
يكمل نصورى . كانت السيدة جروز وفلورا قد دخلتا
الكنيسة . ونجمها الآخرون . ووجدت نفسى أنا وهايلز
وجدنا بين القبور القديمة ضغط على ذراعى ، ونوقنا .

« اجل ، اذا لم ... »

نطلع حوائيه في الخفايا : « حسن ، أنت تعرفين ، وبعد
مضى لحظة قال شيئاً جعلنى أجلس لاستريح فوق اقرب
مقبرة : « هل يفكر عسى فيما تفكرين فيه ؟ »

- وكيف يشئنى لك أن تعرف ما أفكر فيه ؟

- أء ، بالطبع ، أنا لا أعرف ، فأنت لم تخبرينى
قط ، لكن ما أقصده هل هو يعرف ؟

- يعرف ماذا ، بأمايلز ؟

- أننى لم أعد الى المدرسة منذ الاجازة .

- أنا لا اعتقد أن عملك بهتم بذلك كثيراً .

- أذن ، الا تعتقدين أننا يمكن أن نجعله بهتم ؟

- كيف يمكننا فعل ذلك ؟

- بأن نجعله يحضر الى هنا !

- ومن الذى سيجعله يحضر الى هنا .

- أنا !!

قال الصبي ذلك بكل تصديق وحشى مبتعداً عني ودخل
الكنيسة ...

لم يكن باستطاعتى أبدا أن أتبعه ، فجلست هناك فوق
القبر أحاول فهم معنى ماقاله لى ، تحيرت في تفسيره
لدة طويلة حتى أننى لم أستطع أن أذهب الى الكنيسة
على الاطلاق ، لكن بمرور الوقت وضح في ذهنى كل شيء
وكذلك المبررات التى يمكن القدمها ، فمن الممكن أن أقول
أننى لم أدخل الى الكنيسة بسبب تأخرى جدا ، ولايصح
للعربية أن تكون قدوة لطلابها في التأخير .

كان من الواضح بالنسبة لى ، أن هاملز قد كسب
نقطة أخرى ضدى ، فقد يفسر عدم ذهابى الى الكنيسة
لحالة الضيق التى انتابتنى بعد نقاشنا ، وهذا يرجح
كفته ، ربما يظن أننى خائفة من شيء ما ، ومن المحتمل
أن يستفيد من خولى لكسب المزيد من الحرية لنفسه .

كان خوفي أنني قد أتعامل معه على أساس الحب
مفصول من المدرسة ، وكان ذلك شيئاً مزعجاً بالصيغة إلى
أنني كنت متأكدة أن كوني له صلة بذلك الموضوع ، ولو
أن السيد حضر إلى ، بل إلى مناقشة هذا الموضوع معي ،
فربما أرحب بمساعدته في هذا الشأن ، لكنني كرهت
التفكير في ذلك ، وأردت فقط أن أزيل السؤال ، وأنه
إن سوء حظي أن يكون مابلز على حساب ، لأنه لم يعامل
بالطريقة المناسبة ، وكان له كل الحق ليقول لي : إن
دراستي بالمدرسة قد اضطربت ، فاما أن تكشفني عن هذا
المعزل لولي أمري ، وأما أن تعامليني كما يجب أن يعامل
الصبي ، ، ، ، وعندما تحقق من ذلك ، فأنتسي ناكوت
كذلك بالإضافة إلى أنني صدمت ، من أن مابلز قد رتب
خطأ .

كل هذا المنحرف هو الذي منعي من الذهاب إلى
الكنيسة ، سررت ببطء حول حينسي الكنيسة ، متردة
منعيرة ، كان يعرف أنني في ورطة وأنني لا أستطيع
مساعدة نفسي ، لقد كانت بيتنا فحوة ، فالأمر أصبحت
مختلفة تماماً عن ذي قبل ، وكانت مسألة اللحاق به

رجلومي إلى جواره على كرسي العائلة في الكنيسة
بمطابقة عبء ثقيل على نفسي ، ولأول مرة منذ أن عاد إلى
البيت من المدرسة ، كنت أريد أن أبتعد عنه .

توقفت بالخارج عند النافذة الشرقية وأخذت أذهب
إلى الصلوات ، وواتقنسي فكرة : « لماذا لا أهرب ؟
فهذه فرصة رائعة » ، إن يكون هناك أحد ليستوفني ،
يمكنني أن أحمم أمتعتي ، وأعود أراجي وأهرب ، كل
ما على أن أسرع عائداً إلى البيت وأنظف أثيائي الثقيلة ،
فكل النعم تقريبا موجودين بالكنيسة ، ولن يراني أي أحد
كذلك لأن بلومني أحد إذا ما تركت المكان ، ليست هناك
فائدة ترجي من غيابي لعدة ساعات ؟ ينبغي على المرحيل
إلى الأبد ، والا فلا داعي لذلك إطلاقاً ، لي أنني قابلت
الطفلين مرة ثانية على مائدة العشاء بعد عدة ساعات
قليلة ، فسوف ينظاهران بأنهما صدمتا ، وأستطيع تصور
ماسيفولانه ، ما ذلك الذي فعلته ، أيتها السيدة المنيئة؟
لماذا تسببت لنا في كل هذا القلق ؟ ، ولن أستطيع الأجابة
على مثل هذا السؤال ، ولا أستطيع أن أنظر إلى وجهيهما

الجميعين عندما يسألان هذه الأسئلة • هذا بالضبط ما ينحتم على أن الفعل لو أنني بقيت في البيت •

غادرت غناء الكنيسة على الفور ، وعدت مسرعة خلال الحديقة إلى « سلاي » • وفي الطريق أخذت تدبر الموضوع مرة ثانية ، وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى البيت كنت قد قررت أن أغادره • كانت فرصة عظيمة بالنسبة لي أن أقبل ذلك • كان البيت عادياً جداً ولم أقابل أي أحد • لو أنني غادرت المكان على هذا النحو ، لئن تكون هناك أي مشاكل ، ولا كلمات غامضة ، ولا وداع حزين • لا بد أن أسرع بالطبع ، وأن أحصل على عربة ننقلني إلى المحطة •

وفي المسألة باغتنتي صعوبة المصوّل على عربة ، فجلست على إحدى درجات بداية السلم • وشعرت بالاجهاد والوهن • لكن ذكرى شهر مضى جعلني أجلس معتدلة •

لقد كانت هنا ، على نفس درجة السلم في الظلام ، هنا حيث رأيت تلك المرأة المرعبة ، التي بدت في تلك اللحظة

وكانها مثقلة بالشر كما كنت أنا مثقلة بمشاكلي الآن • وقلت وصعدت باقي درجات السلم ••

اتجهت ناحية حجرة الدراسة حيث كان لي بعض الأشياء فيها أردت أن أخضعها معي • تمتد اليساب • واكتشفت في مضى أنني لم أفقد قوتي لرؤية الأرواح الشريرة • واشتعلت مقاومتي مسرة ثانية وكانها لهيب بداخلي •

في وضوح النهار كانت هناك امسرة جالسة على منضدتي •• ولو لم أكن رأيت الآنسة جيزيل من قبل ، لقلت إنها إحدى الشخصات تسريح بعد تنظيف الحجرة • كانت يداها تدعمان رأسها ، والاجهاد يبدو واضحاً عليها جداً • وعندما نظّلت الحجرة • لم تتحرك ، لكن بعد مضى لحظة غيرت وضعها بهدوء ، ثم بدت لي تماماً مثلما رأيتها في المرتين السابقتين •

نهضت •• لكن ليس لأنها سمعت خطواتي •• لكنها نهضت كما لو أن حزنها كان هو الشيء الوحيد الذي تعرفه

عندما عاد الآخرون من الكنيسة توقعت تماماً أن أجيب على عدة أسئلة • لكن ما حيرنى • وادعشتنى أن أجدهم قد التزموا صمتاً حذراً • وبدلاً من التائب المرح لأننى لم ألحق بهم فى الكنيسة • لم يقرؤوا شيئاً على الإطلاق بخصوص ذلك • وكذلك السيدة جروز • كانت صامتة أيضاً • وخضعت من خلال تعبير وجهها أن الطفلين ربما قدما لها رشوة لئلى تصمت •

لكن قبل أن نلتاول شئى مابعد الظهر فى ذلك اليوم • وجدت فرصة لأتكلّم معها • كانت تحلم أمام الفرن فى حجرة المطبخ • كان المكان قد نظف ومسح لقره وتلوح فيه رائحة خبز طازج • استعدت هذا المشهد وأنا أكتب هذه الكلمات •

كانت المربية السابقة تطف على بعد اثنى عشر قدماً منى • صورة من الخديعة • نظرت إليها عن قرب فرأيت شعباً يشبه بالأسود • شعباً أسود كسواد الليل • كان ثمبهرها مزيجاً من جمال حزين ويأس كامل • عندما تطلعت الى بدا فى عينيها كأنهما تقولان أن حقها فى الجلوس على منضدتى يساوى تماماً حقسى فى الجلسوس عليها • وعندما مرت هذه اللحظات انتابنى احساس غريب بأن حقها كان اكبر من حقى بكثير • قاومت ذلك الاحساس بقوة حتى أنلى لم استطع مقاومة صراخى : « انت ايتها المرأة المرحبة • ايتها المرأة البائسة ! » وسمعت كلماتى لتردد عبر الردهة وعبر البيت الخالى ••

نظرت الى كما لو انها قد سمعتنى • ثم أخذ شعبها ينلأى بمسرة ويختفى • وفى اللسطة التالية لم يكن هناك شئ سوى أشعة الشمس • واحساسى بأنه يجب على أن أبقى فى • بلاى ••

منازلت أذكر السيدة جرور وهي تنظر الى العيون
جالسة على مقعدها ذي الظهر المستقيم ، وقالت :

— أوه ، أجل ، لقد طلبا مني ألا أقول شيئا ، وحتى
أسمعهما عندما كانا معي — ففقدت وعدت بذلك بطبيعة الحال
لكن ما الذي حدث لك ؟

قلت : « لقد ذهبت معكم فقط للتمسكي ، فقد كان يتعين
علي أن أعود ثانية الى البيت لمقابلة صديق »

أفذهبت ؟ : صديق ؟ لا أعرف أن لك ...

— أوه ، نعم ، لدى أصدقاء قليلون ... لكن هل أعطاك
الأطفال مبررا لعدم قول أي شيء ؟

— نعم ، قالوا إن ذلك أفضل بالنسبة لك ... هل تفضلين
ذلك ؟

ألا أن ملامح وجهي جعلتها تشك في ذلك فقلت : « كلا
أنا أفضل ما هو أسوأ » لكنني أضفقت بعد لحظة : « هل قالوا
لك عن السبب الذي يجعلني أفضل ذلك ؟ »

— كلا ، لكن سيدي مايلز قال ؟ لا ينبغي أن تفعل شيئا
سوى الذي تفضله !

— حقيقة ، أتمنى أن يكون حساسا جدا ! وماذا قالت
فلورا ؟

— كانت فلورا في منتهى اللطف عندما قالت : « أوه
بالطبع ، بالطبع » ... وقلت أنا نفس الشيء !

فكرت للحظة : ، وانت كذلك في منتهى الظرف — لكن
لا يوجد أسرار بيني وبين مايلز الآن !

— « أسرار ؟ » ...

ونظرت الى متحيرة .

— لا بهم ، ففقدت قررت أن أعود الى البيت كأن لدى
حديث مع الأنسة جيزيل !!

وهي اللحظة التي سمعت فيها السيدة جرور هذه
الجملة ، أسمعتم عيناها ، لكنها قالت في هدوء تام !

— حديث ؟ هل تقصدين أنها نودت بك ؟

« لقد تحدثت الى بوشوخ ثم بعينها » عندما
مضت الى البيت كانت تجلس على حشد من الحجارة
الدراسة !

« ما الذي تعتقدن أنها كانت تريد أن تقول ؟ »

« أنها تعاني من عقاب فظيع ! »

« أنصدين ذلك العقاب ... »

ولم تستطع المرأة المسكينة أن تكمل سؤالها .

« ... ذلك العقاب الذي وعد به الله الأشرار ! »

ولهذا السبب هي تريد أن ... »

وترددت في هذه اللحظة ولم تستطع مواصلة كلامي ،

لكن رفقتني بقصور حباتها شجعتني على مواصلة الكلام .

« أجل ، هي تريد ... »

« هي تريد فلورا ... لكي تشاركها هذا العقاب ! »

لكن وكما قلت لك ، هذا لا يهم . فقلت اتخذت قراري !

سألتني : « ما الذي قررت ؟ »

« قررت أن أرسل الى عمي ... »

فصاحت فائقة : « أوه يا أنسة ، اتعلى ذلك ، اتعلى ! »

« سأفعل ، سأفعل ! فهذا هو السبيل الوحيد الآن ... »

مايلز يعتقد أنني أحس فعل ذلك ، ويأمل أن يحصل على

كسب جديد من خلال ذلك . سوف يكتشف كم هو مخطيء

أجل ، أجل ، سوف أخبر عنه ... وفي حضور الصبي إذا

لزم الأمر . إنها ليست غلطتي أن مايلز لم يعد الى

المدرسة عندما ... »

فهمت لي : « نعم ، يا أنسة » .

« ... وهناك مبرر فظيع ! »

وأصبح هناك العديد من « التبررات » الواضحة للسيدة

جروو !

« لكن ... أي ... مبرر ؟ »

« ماذا ، ذلك الخطاب من ناظر المدرسة ! »

« وهل ستعلمين عنه عليه ؟ »

« كان ينبغي أن أفعل ذلك عندما تسلمته . »

فقالت السيدة جروو بحسم : « كلا ، كلا ، ... »

فواصلت كلامي : « ينبغي أن أشرح له ، بأنني لن
أستطيع تحمل مسئولية البعث عن مدرسة أخرى لطفل
سبق أن طرد »

فقلت بصوت عال : « لكن لماذا طرد ؟ »

— لسوء سلوكه .. ماذا غير ذلك ؟ .. فهو مجتهد وفي
منتهى الجمال ؟ هل هو غبي ؟ هل هو غير منظم ؟ عسل
هو مدلل ؟ هل هو سوء المزاج ؟ كلا .. ليس فيه أي شيء
من ذلك .. إذن فلماذا أن يكون السبب في ذلك سوء
سلوكه . وفي الحقيقة فهذه غلطة عسما ، لأنه ترك أانا
يعيشون هنا ، من أمثال كوينت و ... »

فتسحب لونها وقالت : « أوه ، لم يكن يرميها في
الحقيقة .. الغلطة غلامتي »

لأجبتها : « حسن ، لن نعانى من ذلك »

فقلت بصم : « ولن يعاني الأطفال من ذلك »

وحدث صوت الحفلة ، وتطلعت كل منا للأخرى :
« إذن ، ما الذي سأفعله له ؟ »

— « لن تكوني في حاجة لأن تقولي له أي شيء »
سوف أخبره أنا »

— تقصين أنك ستكتبين له ؟

ثم تذكرت أنها لا تستطيع القراءة وبالتأكيد لا يمكنها
الكتابة . فاستدركت بسرعة : « وكيف ستخبرينه ؟ »

— سأقول لناظر الشبعة . وهو يكتب إليه .

— « وهل يرضيك أن يكتب هو حكايتنا ؟ »

وأبديت أصفي لهذا السؤال لانتني لم أكن أود أن
أجرحها . واندفعت الدموع إلى عينيها : « أوه ، يا أئمة .
اكتبي أنت إليه ! »

— « لا بأس .. الليلة »

قلت ذلك ثم تركتها ...

شرعت ذلك المساء وأنا في حجرتي في البدء بالكتابة
تتناولت ورقة وجلست أكتب ، لكنني أخذت أطلّسح إلى
الورقة طويلا . . . تغير الجو ثانية . . . وهبت رياح قوية
وأخذت تمطر بشدة . . . كانت فلورا ترقد نائمة إلى جوارى
وبدت في منتهى الوداعة في سريرها الصغير ، وتساءلت
عما إذا كان مايلز نائما هو أيضا ؟

نهضت وتناولت الصباح . . . خرجت من الغرفة .
عبرت الردهة وانصت للحظة عند باب غرفة نوم . . . كنت
أسمع لأى صوت يدلني على أنه كان متيقظا . . . وفي اللحظة
التالية سمعت صوتا ، لكنه لم يكن الصوت الذي كنت
أتوقعه . . . سمعت صوته يقادى : « حساي ، أنست يأمن
بالخارج . . . »

دخلت والمصباح في يدي فوجدته في السرير . كان
يفضا تماما ومبتهجا جدا . سألني : « ما الذي تتجولين من
أجله ؟ » .

وقفت بالقرب من رأسه والمصباح في يدي : « كيف
عرفت أنني بالخارج ؟ »

« أوه ، سمعته بالطبع . هل تظنين أنك تسيرين في
هدوء ؟ » أنت مثل مجموعة من الغرسان !
وضحك .

« كنت أظن أنك نائم . »

قال وهو يمد يده الي : « كلا ، كنت مستلقيا فقط ،
أفكر . »

وضعت المصباح بجواره على المنضدة ثم جلست على
حافة السرير وقلت : « في أي شيء كنت تفكر ؟ »

« أفكر فيك بالطبع . »

« آه ، لطيف أن أعرف أنني أشغل فكره . لكنني
أفضل أن تنام بالليل . »

« وأنا أفكر كذلك في تلك الأمور الغريبة لكلينا .
ولاحظت برودة في يده القوية : « أية أمور غريبة ،
يامايلز ؟ » .

« أوه الأسلوب الذي تتبعينه في تربيئتي . وكل
مايتبع ذلك ! »

التقطت انفاستي لبرهة . واتضح لي من خلال ضسوه
المصباح أنه يبتسم .

وسألت : ماذا تقصد وبكل مايتبع ذلك ؟

« أوه ، أنت تعرفين . . أنت تعرفين ! »

لم أستطع قول أي شيء لغرفة . كان كل منا ينظر إلى
الأخر ، وكنت ما أزال أمسك بيده . ثم قلت : « بالتأكيد
سوف تعود إلى المدرسة ، أنا كان ذلك كل ماأريده . . لكن
لهي مدرستك القديمة ، يجب علينا أن نبحث عن مدرسة
أخرى ، مدرسة أفضل . . كيف كان يتسنى لي أن أعرف
أن هذا هو السؤال الذي يقلقك ؟ فأنت لم تقل لي أبدا .
أنت لم تتحدث عن ذلك الموضوع مطلقا ! »

كان يصلى الى باعنه مسام ، وبدأ وجهه الجميل
الابيض الرقيق وكأنه طفل يرقد في سرير بمسشفى .
وعندما خطرت هذه الفكرة برأسي ، شعيت ان اكسون
الطبيب أو الممرضة الذى يديه الفضة على شفاطه ، وعلى
أى الأحوال ، من المحتمل اننى أستطيع المساعدة . هل
نعلم أنك لم نقل لى أبدا كلمة واحدة عن مدرستك .
أفسد مدرستك القديمة . لم تذكر لى أى شيء عنها على
الأطلاق .

لم يحب على الفور لكنه بدا متحميا . تصورت أنه
كان يحاول أن يكسب وقتا ، وانظر كما لو أنه يتوقع منى
المساعدة .

ثم قال أخيرا : ألم اقل لك أى شيء ؟

وكان هناك شيء ما فى صوته ، وفى تعبير وجهه
عندما قال ذلك ، جعلنى أحس بالألم فى قلبى ، وثاقت
عند ذلك أن قوة التأثير المرعب كانت مسيطرة عليه .
كان يحاول النفاذ بأن كل شيء على مايرام ، وأنه ليس
هناك شيء غريب أو غير عادى يحدث له ، لكن قدراته

الذهنية كطفل وقوة اتصاله ، لم تفلح فى أن تحجب هذا
الاعاء .

— كلا ، أنت لم تقل لى أى شيء عند اليوم الذى
جئت فيه الى البيت . لم تذكر لى أى شيء عن مدرستك
أو عن أصدقائك فى المدرسة . لم نقل لى أبدا عن أى
شيء حدث لك فى المدرسة . لذلك فأنت ترى اننى أعرف
عك القليل جدا أو عما يدور فى ذهنك واستطيع بكل
صدق أن أقول — حتى تكلمت معى هذا الصباح — باننى
لم اسمع أبدا كلمة عن حياتك .

واحسست بكل تأكيد أن التأثير الخارجى ، الذى يرتبط
بكونيتي ربما كان يسمم حياتي . وسهل هذا الاحساس
المصالة بالنفس لى ، فأخذت أعامله على أنه شخص كبير ،
أو على قدم المساواة . وبناء على ذلك فقد قلت له :

« كنت اعتقد أنك تريد أن تمشى فى حياتك بالضمير
الذى أنت عليه » .

عندما قلت ذلك تغير لون وجهه فلبلا . وعلى أى

الأحوال فقد مز رأسه ببطء وقال : « أنا لا أريد .. لا أريد
أنا أود أن أهرب بعيدا ! »

— هل تعبت من وجودك قى « بللى » ؟ .. ؟

— أوه ، كلا ، أنا أحب « بللى » .. !

— طيب ، إذن ماذا ؟ .. ؟

— أوه ، أنت تعرفين مايريد صبرى فى مثل سننى !

واحسنت اننى لا أعرف بالضبط مثلما يعرف هو .
وكانت فرصتى لاكتسب بعض الوقت الآن فسالته : « هل
تريد أن تذهب لعمك ؟ » .. فمز رأسه مرة ثانية وقال :
« لا » ، هذا يجعل الأمور سهلة بالنسبة لك . اليس كذلك ؟

وكننت أنا الذى تغير لونها هذه المرة على ما اعتقد .
وظللت صامئة للحظة - ثم قلت : « لكنى لا أريد للأمور أن
تكون سهلة » .

— لن تكون سهلة حتى لو رغبت . لابد أن يحضر عسى
الى هنا ولابد أن تطعميه على كل شيء بالضبط !

فأجبت بشيء من القوة : « لو فعلنا ذلك ، فسيؤسف
يتحتم عليك أن تقادر « بللى » بالتاكيد »

— حسن ، ألم تلمس أن ذلك بالضبط هو ما أريده ؟
تعاينك أن تقولى له أن تعلمنى قد أعمل . لابد أن تقولى
له ذلك بشكل حيالغ فيه !

تكلم بجسارة ، وكننت أرد عليه بنفس الطريقة :
« وما قدر الذى حققته له ، يامايلى ؟ هناك أشياء سوف
يسألك عنها ! »

مكر فى ذلك ثم قال : « محتمل جدا » . لكن أى أشياء ؟
— سوف يسألك عن كل الأشياء التى لم نلقها نسى
أيضا . فلا بد أن يقرر ماذا سيفعله بالنسبة لك . حيث
لا يستطيع أن يبعدك ...

فقاطعتنى : « لا أريد العودة ! أريد محالا جديدا ! »

قال ذلك باهتمام . هل يعمرح . لكننى تخيلات حياة
الأمل الكبرى لا حتمال عودته الى « بللى » فى نهاية
الثلاثة شهور . وكننت على يقين أنه سيعود من مدرسته

الجديدة بنفس الادعاء . والكلام المنعق - مع مزيد من عدم
الامانة . عرفت في تلك اللحظة . انه لن يكون في مقدوري
ابداً نحمل ذلك ، وجعلني ذلك أفقد السيطرة على مشاعري
فأحطته بذراعي وقلت : « باعزبزي مايلز . . . »

كان وجهي قريباً لوجهه فتركضني أقبله . وقال : « حسن
باسمديتي العزيزة ؟ »

- الا يوجد شيء . . . اي شيء على الاخلاقى مزيد أن
نقله لي ؟

استدار ناحية النائم ورفع يده وتلفحسها « لقد قلت
لك - لقد قلت لك هذا التصباح »

وشعرت بالأسى الشديد لسه : « انت لا تربد مني أن
أهتم بك » هل هذا كل شيء ؟ »

استدار وتطلع الى : كما لو انه كان سعيداً بأنني قد
فهمته . رغم دهشته الى حد ما . ثم قال بركة : « هذا كل
شيء . . أرجو أن تتركيني وهدى ا . . »

فأرحته ونهضت ببطة . ويعلم الله أنني لم أكن أريد
ازعاجه . لكن مشاعري لم تطاوعني في تلك اللحظة بالأ
أهتم به لأنه طلب مني ذلك . كانت تلك هي الحال التي
أنا عليها عندما أدركت ظهري عنه ، ثاركة أياه ، فاقدة
أياه . قلت له :

- « لقد شرعت في كتابه خطاب لعنك الآن »

- حسن ، أكتبه اذن ا

انتظرت دقيقة : « ماذا حدث قبل ذهابك الى المدرسة ؟
.. وماذا حدث اثناء وجودك هناك ؟ »

كان مايزال ينظر الى مكانه لم يجب على الفور . ثم ،
وكأنه لم يفهم . أخذ يردد : « ماذا حدث ؟ »

ولاول مرة لاحظت اختلافا واضحا في صوته .
فألمست بشكل مرهف أن لديه رغبة في الكلام . وجعلني
ذلك أركع على وكبني بجوار سريريه وانتهز فرصة سلحت
لساعدته : « مايلز ، مايلز ، اء لو تعرف كم أرد أن

أساعدك هذا كل ما أريد أن أفعله . أنا لا أريد أن أسبب
لك ألما أو ضرورا . أنا أريد فقط أن أساعدك ، أن أنقذك .

بعد لحظة قصيرة تبين لى أننى نحدث كثيرا .
وتلغيت أجابة فى الحال - لكنها لم تصدر عن هابلز . إنما
جاءت من خلال هذا ريح ثلجية باردة شرسة . . . اهتزت
الغرفة . كما لو أن النافذة قد انفتحت بعنف . وندت عن
الصبي سرخة عالية ربما تكون مسرخة فرح أو خوف
فطيع . قفزت ناموسة . . وكانت الحجرة مظلمة تماما .
وبقى كل شيء فى الحجرة للمسطبات على ذلك النحو ،
وتعددت عيناى على الظلمة . فلاحظت أن النافذة كانت
مغلقة بأحكام والمقارر مسدلة عليها .

فصحت : « لماذا ، انظروا الصباح ؟ ! »

فقال هابلز : « أنا الذى أطفائه ! »

- ١٨ -

فى اليوم التالي بعد انتهاء الدروس ، قالت لى السيدة
جروو فى هدوء : « هل كتبت الرسالة ، بالاسة ؟ »
- نعم . . . كتبتها !

لكنى لم أقل لها فى ذلك الوقت أن الخطاب معنون
وجاهز لارساله للبريد . وأنه مازال فى جيبى . فقد كان
هناك متسع من الوقت قبل أن يأخذ المرسال الى القرية .

كان شعبدائى فد أدبا واجباتهما بكل امنوساز هذا
الصباح . ويبدو كما لو أنهما قد قررا أداء واجبهما
بشكل أفضل من المعتاد لاسعادى . . . وذلك على احتمال
أننى قد أكون مازلت متضايقة من أحداث أمس . وكان
هابلز بصفة خاصة مغرما بأن يربى كيف أن الواجب كان

سهلا بالنسبة له ليصفح عن ضعفى . كان هذا الطفل على ما أذكر ، يعيش حقيقة فى ضياء بين نوع من الجمال والبؤس ، لا نستطيع الكلمات أن تصفه ، كان متلوقا فى كل شئ . فعله ، رغم أن أى شخص غريب قد يعتقد أنه مجرد صبي صغير ساذج .

ولقد عرفته جيدا الآن ، ودائما ماكنت اتساءل عما فعله ليستحق الطرد من المدرسة . كأن من الممكن أن اصديق ذلك ، أبان علاقته مع كويست ، فقد تعلم كيف يستطيع تشيخ البشر . لكننى رفضت أن اصديق ، دون برهان ، أنه قد قام بارتكاب أى فعل شنيع .

بعد انقضاء فى ذلك اليوم المزعج بدأ يتصرف بشكل مهذب تماما . جاء الى وسألنى أن أكتب اود منه أن يعزف على البيانو مدة نصف ساعة . كان ذلك مثالا لسلوكه الجيد ، وذوقه الرفيع ، وبئله . وكان طلبه هذا يعنى نفس المعنى لو كان قد قاله لى : أن الانسان المهذب لا يحاول أبدا استغلال ميزة ما ليحصل منها عوَج المزيد . أنا أعرف ما تقصديته الآن . أثنت تعنين اننى اذا لم اسبب



وعزف كما لم يعزف من قبل .

لك مشكلة مع عمى ، فسوف تتوقفين عن الاهتمام بى
ومراقبتى ، ولن تجعلينى قريباً منك . سوف تدعينى أضو
وأروح كما أشاء ، وعلى سبيل المثال ، ها أنا أقبل عليك
الآن ! حفيظة أنا أستمع بوجودى معك ، لكن فى نفس
الوقت يجب أن يكون لى الحق فى التصرف بطريقتى
الخاصة ،

ولك أن تتخيل أى الأمرين أفضل ، أن أناقش ذلك معه ،
أم أعود أترجى ببساطة إلى حجرة الدراسة
التيانو المذنب وعزف كما لم يعزف من قبل أبداً . وإذا
كان هناك أحد يعتقد أنه ماهر فى تسييد الكرة نحو
الهدف ، فإننا أتلق جمعة تماماً . أقول ذلك بسبب الوقت
الذى ضيعته فى الانصات إلى مايلز ، عندما كان يعزف
على البيانو . كان يعزف فى عتبهى الجعال حتى أثنى
كنت لا أرى شيئاً سوى الموسيقى وتأثيرها على .

وبدا الزمن وكأنه توقف . وعندما عادت إلى حواس
العادية ، شعرت أثنى قد نمت على مكتى . وبالطبع أنا
لم أكن حقيقة ، لكننى فعلت ماهر أكثر سوءاً - لقد نسيت .

أين فلورا ؟ وعندما سألت مايلز وأسل عزفه لمدة دقيقة .
ثم قال : : لماذا ، كيف ينسنى لى أن أعرف ؟ ثم ضحك
لحجاة .

ذهبت مباشرة إلى حجرتى ، لكن أحنه لم تكن هناك .
وقبل أن أنزل إلى الدور الأرضى ، فتتلمست فى الغرف
الأخرى . وعندما لم أجدها ، ذهبت لأبحث عن السيدة
جروز ، وأنا أشعر بالتأكيد أن الطفلة لابد أن تكون معها .
كانت السيدة جروز تجلس كما دتها أمام الفرن فى حجرة
المطبخ ، وأجابت على سؤالى بهزة خائفة من رأسها .
فلقد كانت تعتقد أثنى أخذت الطفلة معى عندما عدت
إلى حجرة الدراسة بعد الغداء . وكان من الطبعى جداً
أن تفكر على هذا النحو ، لقد كانت هذه هى المرة الأولى
التي أزع فيها فلورا فغيب عن بصري ، دون ترتيب سابق
لذلك .

قالت السيدة جروز : : ربما تكون مع الخدم ، يا أئمة
هل أذهب لأراها ؟

- أرحر أن تفعلنى ، وأنا سوف أبحث عنها عند

واحدة أثبتت : : لا بد أن نخفي قلنا على قدر ما نستطيع .
سوف نتقابل في الصلاة بعد عشر دقائق !

لكن عندما تقابلنا في الصلاة بالفعل ثم يكن هناك شيء لقوله . وجدت السيدة جروز في منتهى الجسوع الآن .

فما قلتي : : هل منشئت كل الغرف الموجودة في الطابق الأعلى ؟ : : .

فقلت : : أنا لا أظن أنها في البيت . أنها على مبعدة من هنا . اعتقد أنها خرجت ! : : .

— خرجت ؟ دون قبعة ؟

— أليست تلك المرأة دون قبعة دائما ؟

— أتظنين أنها معها ؟

فصرخت قائلة : : أنها معها ! لا بد أن نعثر عليهما . كانت يدي فوق ذراع صديقتي ، فجذبته ناحية الباب

لكنها تحركت ببطء وسألت : : وأين سيدي مايلز ؟ .

— : : أوه ، أنه مع كوينث . من انغمسل انهما في حجرة الدراسة . : : .

— : : أوه ، : : ولم نستطع أن نقول المزيد ، وثبتت في مكانها غير قادرة على الحركة .

واصلت كلامي . : : لقد أوقعا بي في شرك . نجحت خطبتهما . فلقد اكتشف أروغ وسيلة لشغلي على حين تكون هي قد خرجت . : : .

— أروغ وسيلة ؟ : : .

ردتها السيدة جروز بصوت متعير .

— أو اسوأ وسيلة : : والفرصة متاحة له الآن . لكن تعالي !

كانت تنطلع الى أعلى المسلم بلا حول ولا قوة : : وهل ستتركينه وحده ؟ : : .

— : : وحده مع كوينث ؟ : : أجل . فانا لا يهمني ذلك الآن . : : .

انتهت هذه اللحظات بأن أمسكت بيدي . وما أن فعلت ذلك حتى منعني من التحرك : : لكن لماذا لا نهتمين ؟ هل ذلك بسبب الخطاب ؟ : : .

وبدا من أن أجيبها تحسنت جيبى وأخرجت الخطاب
ورفعت أمام نظرها ، ثم حملت نفسها منها واتجهت
لأشعة على المنضدة في الصلاة الكبيرة . وقلت وأنا
عائدة إليها : « سأأخذ الرسالة إلى البريد » . وصلت
إلى باب الصلاة وفتحته ، خرجت ووقفت على السلم
الخارجي .

كأنت رغبتي ما تزال مترددة . من قبل كانت هناك
المصطفى نائيل ، وانقضى الصباح المبكر ، وبعد الظهر
كان الحر كثيفا وحليما بالصمت ، نزلت على درج السلم
بينما كانت تقف على مدخل الباب . « صالفتني ! » أئن فردي
معلق وقبعته ؟

« كلا . فالطفلة خرجت دون قبضة أو معطف .
لا أستطيع الانتظار لأرصادهما » . إن كنت ستفعلين ذلك .
فهبطي على أن أتركك . وبمكنتك أن تبعثي عنها في الطابق
العلوي مرة ثانية !

فقلت : « الطابق العلوي ؟ معهما ؟ » . واندفعت
السيدة جروزل لتنزل السلم لتذهب معي .

- ١٩ -

اتجهنا إلى البحيرة مباشرة . وكان القطر قد
استطاع مرة أو مرتين في نزهة يقارب قديم موجود
على شاطئ البحيرة كان مخصصا لاستعمالنا .

لم يكن ذلك المكان بعيدا عن البيت . لكن فكرة أننا
بأن فلورا ليست قريبة من البيت . هي لم نهرب متى من
أجل غفارة بسيطة .

أحيانا كنت أسير أنا وفلورا على ضفاف البحيرة .
ومنذ ذلك اليوم الذي ظهرت فيه الأنسة جيزيل هناك .
لاحظت الاتجاه الذي كانت الطفلة تفضل السير فيه أثناء
نزهاتنا . فأمسعت أنا والسيدة جروزل إلى ذلك الاتجاه .

« نحن نتجه ناحية البحيرة ، ياأنسة . هل تظنين
أنها في ... »

وانتاب الفلق رغبتي مرة ثانية من جراء الفكرة التي طرأت على ذهني .

— في المساء ؟ كلا ، لا أعلن ذلك ، وعلى أي الأحوال فالبحيرة ليست عميقة جدا ، أنا أعقد أننا سنجدتها في المكان الذي رأينا فيه الأنسة جيزيل أول مرة !

— عندما تطامعت فلورا بأنها لم ترى ..

— أجل .. وقد كنت دائما على يقين أنها تريد العودة الى هناك وحدها ، وقد رتب لها شقيقها ذلك بعناية خاصة .

توفقت السيدة حروز عن السير ، ووقفت سسائكة :
« هل نعتقد حقا أن الطفلين يتحدثان عنهما ؟ »

لأجبت على الفور وبكل تأكيد : « انهما بفولان انشاء تصديقا ونسبيتنا بالاشتمزاز لو سمعناهما » .

— وإذا وجدنا فلورا هناك ..

— نعم ؟

— فهل نظن ان الأنسة جيزيل ستكون هناك ايضا ؟

— أنا متأكدة من ذلك ، وسوف ترى ؟

— أوه ، أشكرك !

وبدأت رغبتي في البكاء ورفضت أن نتحرك خطوة واحدة .. وعندما تحققنا من ذلك ، مضيت في طريق بدوني . لكن في الوقت الذي وصلت فيه الى البحيرة كانت قد أدركتني ووقفت خلفي ، أعقد أنها قررت ، انه مهما حدث من مضاعف ، فعن الأفضل لها أن تواجهها معي افضل من أن تكون وحدها .

وفتشنا في معظم مياه البحيرة ، لكن لم يكن هناك أي أثر للطفلة على الشسعة التي نلف عليها او على الضفة البعيدة ، وتطلع كل منا للأخر ، وفهمت مايدور في ذهني من خلال عينيها .

هزئت رأسي وقلت : « كلا ، كلا ، لم تسقط في الماء ، لقد أخذت القارب » .

ونطلقنا إلى المكان الخالي المفترض أن يربط فيه الغارب ، ثم أخذنا نطلع عبر البحيرة مرة ثانية .

سألتي السيدة جروز : أين الغارب الآن ؟

.. السفينة التي نؤكد أننا لاثراء ، تثبت أنها قد أخذته لقد استعملته لتعبر إلى الناحية الأخرى ، ثم عدت إلى إخفائه .

.. هل تعتقدن أن تلك الطفلة .. استطاعت القيام بذلك وحدها ؟

.. هي ليست وحدها ، وفي ظرف مثل هذه لا تكون طفلة ، بل تكون امرأة .. وامرأة شاعبة !

وأخذت اتطلع بمناب في أرجاء الضفة الأخرى ، حتى اكتشفت مكانا من الممكن إخفاء الغارب فيه ، فأشهرت لرغبتي إلى المكان ، وقلت لها :

.. هل ترين مكانا صغيرا حكوهوا هناك ؟ انه في الغالب مخبأ لجوار تلك الأشجار التي تقرب من حافة المياه ، من المحتمل أن يكون الغارب هناك !

.. لكن إذا كان هو ، فإين الطفلة بحق الله ؟

.. هذا بالضبط مايجب أن نحصل إليه !

وشرعت في السير تجاه الناحية الأخرى من البحيرة .

صافقتي بصوت مضطرب : « هل سنترر حول البحيرة كلها ؟ »

.. بالتأكيد . لن يستغرق ذلك أكثر من عشر دقائق . وبالطبع كان سيستغرق وقتا أطول بالنسبة لظهورا ، لذا فقد فضلت أن تستعمل الغارب .

تبعني السيدة جروز ثانية ، وعندما قطعنا منتصف المسافة توقفت لكي تثقظ أنفاسها . كان مشوارا صعبا لأن الأرض لم تكن مسهدة والاعشاب قد نعت في المر ، وواصلنا السير بعد عدة دقائق ، رقمت بمساعدتها بقية الطريق . وعندما وصلنا إلى ذلك المكان المكتشف على الشاطئ رأينا الغارب على الفور . كان مضطربا وعرجولا إلى الممر المجاور للماء . وعندما أبصرت الجدافين السميكتين القصيرين وهما موضوعان بنظام داخل



هامى ١٧

الغارب ، تأكدت من أن ذلك يعد عملاً مذهلاً بالنسبة
لطفلة عمرها ثمان سنوات ، ومورنا عبر البوابة الموجودة
في السور ونشطنا الأشجار وصاحبت كلانا على الفور :
« هامى ! »

كانت فلورا نقف على معبدة منا فوق العشب وتبسم ،
كما لو أن العرض الذي قيمته قد انتهى الآن - لكن الشيء
الذالى الذى فعلته هو أن انحنت وانزعجت حزمة كبيرة من
العشب الضار - كما لو أنها قد حضرت الى هنا لهذا
الغرض بالذات . ووقفت فى انتظارنا وهى ما تزال تبسم
ونحن فى الطريق إليها . ثم تقابلنا ، تقابلنا فى صمت
ثم !

كانت السيدة حروز هى أول من كسر هذا الصمت ،
فركعت على ركبتيها ، وأحاطت الطفلة بذراعيها
واحتضنتها بشدة .

ولم أستطع فعل شيء والموقف كذلك ، إلا أن أراقب
ما يحدث ، وأقننه بعناية فلاحظت أن فلورا كانت تنظر الى

مباشرة من فوق كتف رفيقتي * كان وجهها جادا في ذلك اللحظة * غابرتة الإبهامة * وجعلني ذلك احسد السيدة جروز على علاقتها البريئة بالطفلة .

وعلى ذلك الوقت لم تغل كلمة * لكن المطرات المتبادلة بيني وبين فلورا انقضت بوضوح تام ان كل المبهرات لاقتضة منها الآن * واخبرنا نهضت السيدة جروز وحلت ممسكة بيد الطفلة ورفعت الاثنتان قبالي .

كانت فلورا هي اول من تكلم * نظرت الى راسيها العاريتين وقالت في دهشة مفاجئة : « غير محفول ، أين قبعانكما ؟ »

فاجبت على الفور : « انهما في البيت » أين فمكتك * في تلك اللحظة عادت النبا سعادتها ثانية ، وارضاهما هذا الرد * فواصلت كلامها : « وأين مايلز ؟ »

كان ذلك السؤال من قبلها بمثابة دعوة للفتال ، ورمشت هذه الكلمات وكأنها سيف مشرع بالنسبة لي . وشعرت بحمل ثقل من القلق ينفذ من فوق كتفي حتى قبل ان اجيب : « سأقول لك ، لم أنك قلت لي ... »

ولسبب ما توقفت عن الكلام * وسالتي :

— أقول لك ماذا ؟ !

ورأيت مسحة من الخوف على وجه السيدة جروز * لكن المسألة لم تعد تحتمل الصبر أكثر من ذلك * فكان علي أقول لها :

— فلورا ، أين الانمة جيزيل ؟ !

كانت هذه هي المرة الأولى التي ذكر فيها ذلك الاسم بيني وبين الطفلة . وبدأ وقع ذلك مثل تهشم أسوح من الزجاج . كما بدت غلورا كما لو أنني ضربتها في منتصف جبهتها . وندت عن السيدة جروز صرخة عالية - مثل صرخة انسان جريح ، واكتمل ذلك بصرخة متى بعد لحظات . تبسّمت على ذراع صديقتي وقلت : « أنها هناك هناك !! »

كانت الانسة جيزيل تقف على الضفة المقابلة للبحيرة تماما مثلما كانت تقف في المرة الأولى . وأذكر ، أن أول احساس انتابني كان الخساما بالفرح . بالفرح لأنني أخيرا قد وصلت الى برهان ، فلقد كانت هناك ، وهكذا قلنا على صواب . . . واست بعمق أو متبورة . كانت

تلف هناك حتى نراها الصبيدة جروز المذعورة اليائسة .
لكن أغلب الظن انها كانت هناك من أجل فلورا ... كانت
لحظة غير عادية بالنسبة لى . . لأننى لم استطيع مقاومة
أوسال رسالة شكر صامتة عبر الماء الى شبح تلك المرأة
الشاحبة المظلمة !

كانت تلف مباشرة على الجزء المخايل لطبعة البصيرة
التي غادرناها منذ قليل فقط انا والسيدة جروز . ونطفح
كل بوصة من شكلها وحجمها بالشر . . الشر القاتم . .
رايت كل ذلك خلال لحظات قليلة . كانت الصبيدة جروز
تتلعلل أثناءها ببلاهة الى المكان الذى اشمرت اليه .
وأعتقد بالطبع . انها رأت حارابه . وكان كل اهتمامى
ينصب أساسا على فلورا . كنت أريد أن أعرف كيف كانت
ستتفاعل مع اكتشافى أصرها .

لكننى سدمت عندما نظرت الى الطفلة . كنت أنصو
انها سيبدو مضطربة أو خائفة لكن لم يبد عليها شيء من
ذلك . كان تمييز وجهها يظهر فقط أنها غائبة لمشاعرها
تماما . ولم تكن تود بالطبع أن تكشف لنا عن المزيد من

سرهما أكثر مما عرفناه بالفعل . وإذالك فلم أكن على
استعداد لتلقى احدى ومضاتها السريعة التي نخرج من
عينها . وقفت هناك دون أدنى حركة من وجهها لتورده
الصغير . ولم نهض حتى لتتطرق للحظة الى الزائفة الموجودة
على الطرف الآخر من البحيرة .

بدلا من ذلك . أخذت تنظر الى بقسوة شديدة - بتعمير
كان جديدا تماما . . كانت نظرة قاسية بدا منها انها
تعرفنى . وانها تتهمنى . وانها تصدر على حكما . كل ذلك
لمى نفس الوقت . . كانت نظرة . تبدلت الطفلة من خلالها
لنصبح شخصا آخر مضيئا . وأدهشنى انها لم تكن مهتمة
بالاتمة جيزيل . وخاصة عندما تأكدت انها تستطيع أن
ترى شخصها الكريه بوضوح تام .

صحت قائلة : انها هناك . انت ابها الشسر
الصغير النعس . . . انها هناك . وبماكانه أن ترونها مثلما
تريينى تماما !

كنت قد قلت للسيدة جروز من قبل أن فلورا لا تكون
طفلة فى هذه الاوقات . لكنها تصبح كامراة . امرأة

ناضجة . وهذا الوصف كان يطبق تماما على المسألة التي بدت فيها والطريقة التي كانت تنظر بها الى . تجاهلت كلعائني وكذلك اصبحي الذي يشير ، ورمقتني بنظرة كراهية عميقة جدا . وظل هذا التعبير على وجهها .

ولقد صدمت هذه المرأة من تصرفات فلورا . اكثر من أي مرة سابقة . وحتى تزداد الأمور سوءا فقد كان على أن تتعامل مع انعجاجة صدمت من السيدة جرور فجأة . فلقد احمر وجهها وبدا كما لو أنه يعمل المكان امامي . وسمعت صوتها عاليا معترضاً : « ماهذه الصدمة الفظيعة التي سببتها لي . بالأمس . بحق الله ، أين ذلك الذي تربته ؟ »

ولم أستطع الا أن أضغط اكثر على ذراعها ، لأنها أثناء ما كانت تتكلم كان شبح الأنسة جيزيل القبيح يقف واضعاً يدهن خوف . لقد رأيته بالفعل لمدة دقيقة ، وظل باقياً أثناء كلامي وحتى اشرت بأصبعي وصمعت : « لا تربلها بالسبب كما رأيتموها ؟ هل تعلمين انك لا تربلها . ولاحتي الآن ؟ أنها ضخمة كالسفينة الحربية ! اندلوي . يا عزيزتي . انظري ٠٠٠ !

ونظرت مثلاً فعلت أنا ، لكنها هزت رأسها ، وصدر عنها صوت يعبر عن الفشل واليأس والرتاء .٠٠ الرتاء من أجلى ! . وكنت اعتقد أنها ستكون مسعيدة لمعاونتي لو كان في مقدورها ذلك . وكنت في هذه اللحظة في أمس الحاجة الى عون على قدر ما يمكن .٠٠ لكن ثبت بالقطع .٠٠ ثبت أنه ليس لديها القدرة اللازمة لرؤية الأشياء الشريرة . واصبح موقعي تجاهها ضعيفاً جداً . وتصورت أن الأنسة جيزيل قد شغقت من هزيمتي أو عرفت ، كما عرفت أنا ، أن مشكلتي أصبحت الآن مشكلة مزدوجة كما كانت من قبل . فقد أصبح من المنص على أن تتعامل فلورا ومع هايلز على انفراد تماماً .

لم تخضع السيدة جرور وقتنا من كشف ابعاد المسألة بالنسبة لي - وبالنسبة لفلورا فقالت : « أنها ليست هناك ياسيدتي الصغيرة ، ولا يوجد أي أحد هناك .٠٠٠ وأنت لم ترى أي شيء أبداً ، هل رأيت ، يا عزيزتي ؟ كيف يقسمن للأنسة جيزيل المسكينة .٠٠ أن تظهر ثانية بعد أن ماتت ودفنت ؟ نحن نعرف ذلك ، ليس كذلك يا عزيزتي ؟ » وأخذت الحفلة بين ذراعها ثانية . وقالت : « الأمر كله مجرد

خطا وأزعاج ونكته .. وسوف نعود الى البيت بأمرح
ما يكون !

وافقت الطفلة بسرعة ووقعت الاثنان منضالطنان
خسدي . ولم يتغير تعبير فلورا نحاسي ، ونوملت الى الله
أن يفكر لي ماريته : جمالها الطفولي الأخاذ وقد غاب
عنها . ولقد قلت ذلك من قبل .. كانت قاسية ، ولديجة
الى حد ما .

وقالت : أنا لا أعرف ماذا تفكرين . أما لم أر أي
شخص .. لم أر أي شخص إطلاقا .. ثم لوت وجهها
برضت قاتلة : أنت قاسية .. أنا أكرهك .

واذنعت في السيدة جروز بعد أن قالت ذلك الكلام
واخفت وجهها الصغير المثبث في جوفلة السيدة جروز
القضاضة . ومن خلال الجوفلة صدر عنها بكاء مكتوم
يائس وأخذت تصرخ : خذيني بعيدا .. أوه خذيني
بعيدا ، عندي !

لقلت لأمي : بعيدا عنى ؟

فصاحت باكبة : بعيدا عنك - بعيدا عنك !

واكتنسى وجه السيدة جروز بمسحة من الخجل بسبب
ذلك . ولم أستطع فعل شيء سوى أن أدير رأسي ثانية تجاه
شبح المرأة على الضفة المقابلة . كانت مازال تقف هناك
دون حركة ، كما لو أنها تنصت الى أصواتنا . عندئذ
شعنت أن ظهور الأنسة جيزيل بالنسبة لي ، وعدم ظهورها
الغام بالنسبة لسيدة جروز ، يجعل نفس التنبجة بالضبط ،
وهو تعطم كل أمالي في انقاذ فلورا . لقد كانت الطفلة
تتحدث وكأن كل كلمة من كلماتها الصغيرة التي نسمع
روح الكراهية ، إثية عبر البحيرة . هزئت رأسي بحزن
وقلت : لقد فقدتك يا فلورا .. ربما كانت تراودني
الشكوك بخصوص ذلك في الماضي ، لكنها الآن قد ولت .
لقد تدخلت في خطتها .

ثم نطلمت عبر الماء الى تلك الشاهدة الشريرة ،
وواصلت كلامي : لقد دلتك على أمهل وأكمل أسلوب
لكي تبرز أسلوبى . لقد بذلت مافي وسعى لأنفك ،
لكنني فشلت . وداعا ! ..

القفط الى السيدة حروز وصعدت فيها: «ها ، اذهبى» .
كانت مضطربة جدا واحسنت تماما بان هناك شيئا خطيرا
قد حدث . لكنها اخذت الطفلة الصغيرة وعادت من نفس
الطريق الذى جئنا منه ، وبأسرع ماتسطيع .

لا احرف بالضغط ماذا حدث لى أولا بعد ان تركاني .
لكن بعد ربع ساعة شعرت فجأة اننسى بردانة ومبلة
وجود تنفسى منخرجة على وجهى فوق الأرض . لابد اننى
القيت بنفسى على الأرض واخذت أبكى وأبكى . ويبعدو
أننى ظلمت كذلك أبكى لفترة طويلة . عندما نهضت أخيرا
كان الظلام على وشك أن يكمل . تطلعت الى البهيرة
الرمادية . وسرت بهمة عائدة الى البيت .

عندما وصلت الى البوابة الموجودة لى السور ،
دعشت لاكتشافى ان القارب اختفى ، اذن فلورا ما زالت
تدير الأمور ! قضت الليل مع السيدة حروز ، اعتقد على
الأقل انها فعلت ذلك ، رغم اننى لم ار ايها منهما النساء
عودتى .

اما مايلز فقد كان معى لفترة لا بأس بها من المساء ،

وحقيقة فقد بقى ذلك المساء لفترة أطول مما كان يقضيها
معى عادة من قبل . عندما دنت الى البيت ، لم أبحث
عنه . ذهبت مباشرة الى غرفتى لأغير ملابسى ، فلاحظت
على الفور أن حاجيات فلورا قد أخذت من الصجرة . بعد
ذلك تناولت الشاي كالعادة بجرار مدلاة حجرة الدراسة .
ولم أعمال الخسامة التى أحضرت الشاي عن غيباب
الطفلين ، فمايلز قد حصل على حريته الآن . وبإمكانه
أن يتحصل على الكثير منها كما كان يريد .

لكن لا يبدو أنه يريد الكثير جدا . اذ عاد الى حجرة
الدراسة حوالى الساعة الثامنة وجلس معى لى سمعت .
فى ذلك الوقت كنت قد أطفأت المصباح وقربت مقعدى الى
جرار المدلاة . كنت أجلس فى الظلام مع أفكارى عندما
جسدت . جلس معى ، وكنت اشعر تماما أنه كان يود أن
يكون معى .

في صباح اليوم التالي حضرت الى حجرة نومي
السيدة جروز مبكرا وكانت تعمل انباء سميكة .. يبدو ان
فلورا مريضة . تزايدت عليها الحمى اثناء الليل وابقتها
مشقة ، بكت كثيرا ، لم تكن على الاخلاق مشغولة بافكار
الانسة جيزيل ، انما كان كل ما تريده ان تظل بعيدة عني !
نهضت على الفور وبدأت اوجه بعض الاسئلة . بعد ان
تبين لي ان السيدة جروز كانت على استعداد تام للاجابة
عليها .

- هل مازالت تقول انها لم تر احدا ابدا او أي شيء ؟
- لا احرف ، يا انسة . فلانا لم اسألها ثانية عن ذلك
.. اعتقد انه ليست هناك حاجة لذلك . فلقد انهكتها ذلك
تماما !

— أوه ، أنا أعرف الشكل الذي تبدو عليه . وأعرف كذلك الأسلوب الذي تملكه . إنها متضاربة ، بنفس القدر الذي يكون عليه انسان يشعر بألمينه ، لأننى قد شككت فى ثقافتها بنفسها وشخصيتها . وحقيقة أنا مازلت أشك فيها كثيرا جدا . وأنا لا اعتقد انها ستحدث الى ثانية على الإطلاق .

لم تلم السيدة جروز ما قصده تماما ، فلم تغفل شيئا للحظة، ثم انفتحت معى تماما فى النقطة الأخيرة وقالت : حقيقة . يا أنسة ، اعتقد أنها لن تفعل ذلك أبدا . هى معترضة بنفسها !

قلت بوضوح : : هذه هى مشكلتها الرئيسية الآن . — انها تبالغ فى كل شىء نقائى . عما اذا كنت أظن انك ستأتين الى الحجرة ؟
— لمهنت .

— هل قالت لك كلمة واحدة عن الأنسة جيزيل منذ أمس ... فيما عدا أنها لم ترها أبدا أو تفكر فيها ؟

— ولا كلمة ، يا أنسة . وأنت تعرفين بالطبع اننى صلتها بالأمس عند البحيرة ، حيث . لم يكن يوجد أى أحد هناك ؟

— نعم . بالطبع ، أعرف . ومن الطبيعى أن تغفل شخصيتها .

— وماذا عمأت أن الفعل غير ذلك ؟

— لاشئ على الإطلاق . فانت تتعاملين مع امرأة صغيرة ماهرة جدا ، وصديقاها النوفيان جعلها أكثر مهارة مما يمكن أن تفعله الطبيعة . ان غلورا الآن لديها حاشكو منه . وسوف تستغل ذلك جيدا حتى النهاية !

— أجل ، يا أنسة ، لكن ماذا ستكون النهاية ؟

— ان يظهر معها من كل شىء . — وعنى سيقولان على اننى أسوأ ...

ويبدو ان السيدة جروز تخيلت الطفلين وهما يظهرا معهما .. وانعكس هذا المشهد على تعبيرها : : لكن هو له رأى ممتاز فيه ، يا أنسة .

- ولاؤك لى .. ذلك أول شيء * ومايلز بعد ذلك -
- الا تظنين انه لن يتقلب عليك اذا اتيت له
الفرصة ؟

- نعم * حاولت أفكر فى ذلك - على اى الأحوال ، انا
أريد أن أحاول .. أذهى مع أحسنه بأسرع مايمكن ،
وأتركيتى معه وحدى !

ظلت مترددة لكنها لم تقل أى شيء يعارض فكرتى .
وأصليت كلامى : « ياالطبع ، لايد أن يرى كل متهمنا
الأمر وأن مجرد لحظات قيل أن تذهب » .

عندئذ اتضح سبب تردد السيدة جرور لأن الطفلين
كانا قد تكلموا مع بعضهما بعد أن عادت فلورا من البحيرة ،
وبالتالى فإن ما عرضته لم يكن له فائدة ترحى .. فمالتهما
بصوت قلق : « هل تعتين أن الطفلين قد تقابلا بالفعل ؟ »

أحمر وجهها مرة ثالثة : « أم ، يا آنسة ، فانا لست
على هذه الدرجة من الحماسة : فعندما كان يتمتع على أن
أتركها لمدة ثلاث أو أربع دقائق ، كنت أطلب من إحدى

- فلورا تريد التخلص على بطبيعة الحال .

فوافقتنى : « بل انها لا تريد حتى أن تنظر اليك ثانية !

عالماتها : « هل ذلك ما حضرت لتقولي لى ؟ - وانه
يتحتم على أن أرحل على الفور ؟ » .. وقبل أن تتمكن
من الاجابة اكملت : « ان لدى فكرة أفضل * فكرت فيها
اثناء الليل .. يوم الأحد الماضى فكرت انه قد يكون من
الأمثل بالنسبة لى أن أرحل .. وكنت على وشك أن أفعل
ذلك .. لكن ذلك لن يفيد فى شيء انه انت الذى يجب أن
تذهى * يجب أن تأخذى فلورا » .

تغيرت الأمر وسالت : لكن الى أين ... ؟

- بعيدا عن هنا * بعيدا عتقنا * بعيدا .. ويقض
النظر عن موقفى * تأخذها مباشرة الى عمها .

- لكنها سوف تخبره فقط بـ ...

- دعينا نفعل * يجب أن تتركيتى هنا مع علاجى

تظنرت الى فى ربيبة : « وما هو علاجك ؟ »

الخادسات أن تبقى معها . حالياً هي في الغرفة وحدها
ولكنني أغلقت الباب . أنا أفكر في ...

— أجل . في ماذا ؟

— ... في عابئز . هل أنت متأكد أن كل شيء سيكون
على مايرام ؟

— أنا لست متأكدة بخصوص أي شيء فيما عداك
أنت . لكنني أصبحت أكثر تفاؤلاً منذ مساء أمس . لأنني
اعتقد أنه كان يجب أن يقول لي شيئاً . فقد جلس معي
مدة ساعتين مساءً أمس أمام مدقاً حبيسة الدراسة .
وساعتها كنت أعتقد أنه سيتكلم .

تطلعت السيدة جروز عبر النافذة إلى ضوء النهار
الرمادي ثم قالت : « لكنه لم يقل أي شيء » .

— « كلا . لم يقل . رغم أنني انتظرت وانتظرت .
لكنني لم أمتنع الانتظار أكثر من ذلك . ينبغي أن أبتج
له فرصة أكثر قبل أن أسمح لعمه أن يراه » خاصة إذا
أخذت فلورا إلى شارع هارلي .

وظلت غير مستطبعة أن تلتقي محي تماماً فسالفتي :

— ما الذي تقصدينه بفرصة أكثر ؟

— في خلال يوم أو يومين . أعتقد أنه سيكون على
استعداد للكلام معي . وعندئذ سيكون في صفى . وذلك
شيء مهم جداً . أليس كذلك ؟ وإذا لم يحدث شيء ...
فبالطبع سأقتل . وأنت لن تقدمي على فعل أي شيء .
خطأ . بل سوف تساعدني بأن تفعلني أفضل ما تستطيعين
في لندن .

ولم تستطع السيدة جروز أن تقرر . وكان على أن
أوجه إليها سؤالاً آخر : « قولي لي . ألا نودين حقيقة أن
تذهبي ؟ »

أفصحت ملامحها عن الرضا في الحال . وضت إلى
يدما وقالت :

— سأذهب ... سأذهب سأذهب هذا الصباح !

— « إذا كنت تودين البقاء قلبلاً . فلأنا أعدك بالأمراني
فلورا » .



والهجوت في فبض من الدموع ٠٠

— كلا ، كلا !

ونظرت الى بيمينين متقلبين وواصلت كلامها : « فكرته
هي الفكرة الصائبة » وبالنسبة لي ، يا أنسة ٠٠ »

— ماذا ؟

— لا أستطيع البقاء !

رمقتني بنظرة مضطربة حتى انني فكرت ثورا في مخرج
جديد ٠

— هل نعتين انك قد رايتها فعلا أمس ؟ ٠٠

هزت رأسها : « كلا ، لكنني سمعت ٠٠٠ »

— ما الذي سمعته ؟

— سمعت أشياء مرعبة جدا ، يا أنسة ٠٠ من تلك
الطفلة ! وبشرقي هي تقول أشياء ٠٠٠

لكن السيدة جروز ، لم ترغب ، او لم تستطع ان تقول
لي ما قالته فلورا ٠ حلمت غارقة في احد المقاعد وانفجرت
لي فبض من الدموع ٠

انتظرت لبضعة دقائق ثم سألتها بهدوء : « هل كانت
تتكلم عني ؟ »

نظمت الى على وهي تهفت دموعها : « نعم يا أنسة .
كيف عرفت ؟ فلم أكن ساقول لك . قالت كلاماً أمواً من
أى شيء سمعته من قبل . لا أنصور أن فلورا تستطيع
قول ذلك . » ولا أتخيل أين تعلمت كل ذلك . »

— هل تقصدين أنها قالت عني كلاماً قبيحاً ؟

ثم قلت بصوت عالٍ : « أنا أعرف من علمها ذلك . »

— ومن المفضل أن أعرف أنا كذلك حقيقة . يا أنسة .
لأنني سمعت شيئاً منه من قبل . لكنني لا أستطيع فعله .
وامتدارت السيدة المسكينة تنصرف ونظرت الى ساعتي
المرجونة على المنضدة : « يجب أن أعود اليها الآن . »

— لكن إذا كنت لم تستطعي فعل ذلك . فكيف يمكنك
البقاء معها ؟

— لكن أبعدها عن هذا المكان فقط يا أنسة . بعيداً عن
هذا المكان . » بعيداً عنهما . » !

٢٠٠

— أجل . أجل . نعم المفضل أن تكون فلورا مختلفة
عن مايلز . ربما مازال حرة الإرادة !

وأخبرتها بنوع من المرح : « إذن فبالرغم مما حدث
أمس . » فأنت تصدقين أن . . . »

لم تكن بي حاجة الى أن أكمل الجملة . فقد نطق
تعبير وجهها قبل أن تقولها : « نعم . أصدق . » !

كنت في منتهى السعادة لسماع تلك الكلمات . وكان
بكافيتي ما نعمله هذه الكلمات من صدق . ولم أكن لأهتم
بحدوث أى شيء آخر . وإذا كانت صدقتي على استعداد
لأن تقسم على صدقي . فقد كنت على استعداد لأقسم لكل
الباقين . لكن وقد قررت الآن أن نذهب الى لندن . فقد كان
هناك شيء واحد يقلقني بعض الشيء .

قالت : « لقد تذكرت شيئاً ثوا . لابد أن رسالتى قد
وصلت الى مهمي . قبل أن تصلني أنت الى شارع هارلي .
وسوف يعرف أن هناك شيئاً ما قد حدث . »

٢٠١

كنت على يقين بأن لديها المزيد مما لم نقله لى ، وقد جعلها ذلك فى المتابعة تبدو مرهقة جدا فقالت: «ببساطة إن خطابك لن يصل إلى هناك ، فهو لم يرسل على الإطلاق ! »

« ماذا حدث له إذن ؟

« لا أعرف ، لكن هايلز ... »

فقلت بصوت عال : « هل تعين أنه أخذه ؟ »

ترددت ثم جمعت شتات نفسها واكملت : « ... عندما عدت مع فلورا أمس ، لم يكن الخطاب موجودا على منضدة الصالة حيث تركته . وفى وقت متأخر من المساء سألت الموصل إذا كان قد أخذ الخطاب إلى مكتب البريد ، لكنه قال أنه لم يكن يوجد خطاب على المنضبة عندما غادر البيت . وهكذا ترين ، يا أنسة ... »

« أجل ... فهمت - لو أن هايلز أخذه ، فلا بد أن يكون قد قرأه وعزفه الآن . »

« لكن ألا تدركين شيئا آخر يا أنسة ؟

تطلعت إليها للحظة بأهتامة حزينة : « يدعنى أن عبثيك الآن مقترحتان أكثر من عيني . »

« فعلا ، هانا ، الآن أعرف ماذا فعله فى المدرسة . »

وهزت رأسها بحزن : « لقد سرق ! »

فكرت فى ذلك : « ربما يكون قد فعل . لكن ... »

« لكن ماذا ؟ أقصد أنه سرق خطابات . »

لم تكن تعرف بالطبع مبرراتى للشك فى أن هايلز قد أصبح لصا صغيرا ، قلت : « أمل إذن أن يكون قد تعلم المزيد من خطابات الناس الآخرين أكثر مما تعلمه من خطابى ؟ فما ذكرته لعمه كان مقتضبا جدا ، لقد قلت فقط . اننى أريد أن أقابله . لو أن هايلز أخذ الخطاب فعلا ، هانا ، أعتقد أنه يشعر بالخجل التام لأنه فعل شيئا لم يكسب منه الكثير . وذلك هو الصيب الذى جعله يبقى معى طويلا مساء أمس ! لقد كان يريد أن يعترف . »

ويبدأ إلى كل شيء واضحا في النهاية . فقلت وإذا القف
عند باب الحجرة استعملها في الانصراف : « هيا ، هيا
ولسوف يقول لي مايلز : سوف يعترف كلبة » لو اعترف
لسوف ينقذ نفسه ، وإذا أنقذ ... »

— مستغدين أنت كذلك . اعتقد أن ذلك ماتقصديته .
عند ذلك قبلتني وأمسكت بيدي . وقالت وهي تمضي
إلى الخارج : « سوف أنقذك بدوره ! » ... »

- ٢٢ -

عندما هبطت إلى الدور الأرضي . قالوا لي أن
السيدة جيروز وفلورا قد غادرتا البيت في الغربة . ولم
أضمر أبدا بأنني خائفة على هذا النحو ، منذ اليوم الذي
جئت فيه إلى « بلاي » .

لقد افقدت مدبرة البيت بشكل فطيس وحياة .
وأصبحت وحيدة وجها لوجه ، فقلت لنفسي ، فلأدع نفسي
للأقدار مهما يكن مايسفر عنه . ولعدة مرات طوال اليوم
انتابني احساس بأنني كنت في منتهى الغباء حتى أترك
السيدة جيروز ترحل ، خاصة وكما تبين لي الآن ، ماكنت
أراه من النظرات الحائرة على وجهه الضخم فقد كانوا
يشبهاء لون بطبيعة الحال عن سبب ماحدث . ولم يكن في
استطاعتنا تقديم مبرر مقنع لرحيل مدبرة المنزل والطفلة .

هكذا ونجاة • لكن سرعان ما تيقنت أنه يتحتم على الآ
 أسمع للخدم بازعاجي • وأن الفضل شيء لا يثبت ذلك • أن
 اشغلهم على الفور في شئون البيت •

وهكذا أصبحت في ذلك اليوم حاسمة جدا مع كل
 فرد في البيت • أخذت أشجول في اتحاء البيت لمدة ساعة
 أو ساعتين • لآرى إذا كنت على استعداد لمقابلة أى نوع
 من المشاكل •

لم أرى مألوف على الإطلاق • لكن لا بد أنه قد أصبح
 من الواضح تماما لكل من البيت أن هناك تغييرا في العلاقة
 بيننا • وكان أول يوم من أيام الأسبوع منذ عدة شهور
 تبدو فيه حجرة الدراسة منسبة تماما ••

كان قد اختفى تماما عندما هبطت السلم • وعلمت أنه
 قد تناول الفطار مع السيدة جروز وأخته في المطبخ •
 وأخبر الخدم حينئذ أنه سيجري للتمسسي • واعتقد أن
 عبارته • أخرج للتمسسي • قد عرفت من تغير العلاقة بيننا
 بشكل الفضل من أى شيء آخر •

ولم أستطع أن أعرف ما إذا كانت العلاقة بيننا
 ستصبح مرة أخرى علاقة تلميذ ومربية أم لا • وكان ذلك
 بشكل ما أحد أسباب راحتي • فعلى الأقل أستطيع الآن
 أن أتوقف عن الإدعاء باننى لا أمثل بالنسبة قلبه أكثر من
 انى مدرسة له فقط • ولقد كان مدركا لذلك وواعيا له •
 حتى اننى لم أشعر بأى حرج كبير لمجرد تقديم معيذاتى
 الحرفية • لكن قدراته الذهنية كانت حقيقة اكبر من قدراتى
 والأمر على هذا النحو يعد حفاقة عشتى أن أمضى فى
 التفكير فى نفس كمدرسة له • حسن • لقد حصل على
 حرقته الآن • ولن أندخل فى حياته مرة ثانية ••

على أى الأحوال فقد كنت مشغولة جدا بالمشكلة
 الرئيسية حتى ألقى نفسى بمشكلة تعليمه • وتأكدت أن
 الصعوبة فى هذه المشكلة تكمن فى اللحظة التى يعود فيها
 ماينز للبيت • فبرغم ماحدث أمس • وبرغم كل ماحدث فى
 الأشهر الأخيرة • ظل العصبى على نفس الحال • ظل
 سلوكه دائما كالعادة • ومازال جماله الطفولى موجودا •
 ولم يبد عليه أى نوع من العناء على الإطلاق •

قررت وأخبرت الخدم بأننى سوف أتناول طعام الغداء مع مايلز بحجرة الطعام ٠٠ تلك الحجرة التى رأيت فيها كويت للمرة الثانية مساء يوم أحد منذ فترة طويلة . انتظرت مايلز هناك ، وبينما كنت أنتظره أخذت الفكر فى أحسن طريقة للتعامل معه . وتفتح ذهنى على شيء ، لو أننى كنت أريد أن أحفظ توازنى ، فببغى على أن أطرد الحقيقة من ذهنى ، الحقيقة التى تتلخص فى أن كل تلك الأمور ضد الطبيعة . وباستطاعنى أن أتمسك بها معها واتعامل مع هذه الأشياء المزعجة وكأنها أشياء غير عادية وغير مبهجة — مجرد أشياء متعبة مدعان ما تزول . ولابد أن أتعلم عليها وبصبح كل شيء على مايرام مرة ثانية !

حضر مايلز الى حجرة الطعام ، وقف ويداه فى جيوبه . كان الطعام على المائدة ، والخدم قد علموا الى المطبخ . نظر الصبي الى الطعام وكأنه على وشك أن يبدى تعلقا مضحكا عليه . لكن بدلا من ذلك قال :

— هل فى مريضة جدا حقيقة ؟

— فلورا ؟ كلا ، ليست مريضة جدا . سسرعان

ماستنمسين سمعنا فى لندن . قمر . بلاى . لا يتفق معها . اجلس وتناول طعامك !

استجاب على الفور ثم واصل كلامه : : لكن هل جو بلاى . أصبح لابتوافق معها هكذا فجأة ، ؟

— ليس هكذا فجأة كما نعتقد . لقد كانت حالها تسوء منذ فترة !

— إن لماذا لم ترسلوها من قبل ؟

— قبل حان ؟

— قبل أن تصبح مريضة الى هذا الحد ولا تقوى على السفر .

— لكنها ليست مريضة الى الحد الذى يمنعها من السفر . من المحتمل أنها كانت تصبح كذلك لو بقيت هنا . كان ذلك هو الوقت المناسب تماما لسفرها . وقد تكون الرحلة بمثابة نوع من التعبير فى حاجة اليه .

— فهمت . فهمت !

جلس ليتناول طعامه بسلوكه المتميز بأدب المائدة .
الذي انضم به منذ عودته من المدرسة . حتى أنني توصلت
إلى أنه مهما كان سبب حشره من المدرسة ، فلن يكون
بسبب أسلوبه الرديء في تناول الطعام . لكنه اليوم أثناء
تناول الطعام ، كان يبدو عليه أنه يفكر بعمق أكثر مما
يأكل . حتى أنا أكلت قليلاً وسرعان ما ناديت الخدم
ليرفعوا الطعام .

وعندما كان يجري ذلك ، وقف مابلز ثانية ويداه في
جيوبه وظهري لمي . كان يتطلع من النافذة العريضة التي
رأيت كوينت خلالها . لم نقل أي شيء حينما كانت الخادمة
في الحجرة ، لكن عندما غادرتها استدارت إلى وقال :

— حسن ، ها نحن وحدنا !!

- ٢٢ -

أجبت : أوه . ليس تماماً لا تبدو كذلك !

ولاحظت أن ابتسامتي ليست مشرقة تماماً .

— كلا . . . اعتقد ذلك فعلاً فالآخرون بالطبع مازالوا
هنا .

واقفته على كلامه : « أجل بالطبع ، فالآخرون مازالوا
هنا » .

فقال : « لكن رغم أنهم هنا ، فإن وجودهم ليس له
أهمية ، ليس كذلك ؟ »

— أوه ، ذلك يتوقف على ما تقصده بكلمة « أهمية » .

— أجل . أجل . . . كل شيء يتوقف على شيء ما !

التفت ناحية النافذة مرة أخرى ثم اتجه منطلقاً ناحيةها وهو غارق في التفكير . ثم أخذ يضغط انفه على زجاج النافذة ، متطلعاً إلى الأشجار المجردة من أوراقها في شهر نوفمبر . انتقلت قطعة من شغل الذاكرة كنت أعمل فيها ، واتجهت صوب كورسي صريح . كانت تلك كورسي إحدى اللحظات التي وصفتها من قبل سيكون غريب وصمت وكنت على يقين تماماً بأن كوينت أو الأنتة جيزيل أو كليهما موجودان في الصخرة معنا

لكن الوضع كان مختلفاً هذه المرة فعندما نظرت إلى ظهر الصبي ، طرأت على ذهني فكرة وبالجساح وأصبحت واضحة جداً خلال لحظات وعرفت أن هناك شيئاً غريباً في الصخرة ، لكن حاولت لا يعرفه ! فقد أدركت فترة طويلة لم يدرى فيها كوينت

ويبدو أن إطار النافذة العريضة أفسح عن فشله فشعرت لما أنه عاجز عن الرؤبة ، أو أنه في موقف التبادل ، وأعطاني هذا الاحساس دفعة من الأمل فقد كنت على يقين أنه كان يتطلع عبر الزجاج إلى شيء لم

يستطع أن يراه وأن هذه هي أول مرة يعرف فيها مثل هذا الفشل أدنى به ذلك إلى أن يكون مضطرباً ، على ما اعتقد ، رغم أنه شجع في السيطرة على نفسه وعندما استدار أخيراً قال ببساطة : « حسن ، اعتقد أنني سعيد لأن بلأى ، يتوافق معي »

— هذا شمس ، طيب لقد رأيت الكثير عنه في الساعات الطفيلة الماضية ، أكثر مما أتيح لك في الأوقات السابقة أتمنى أن تكون مسروراً بنفسك !

— آره ، نعم ، فلقد تجولت في أنحاء المكان كله ، سرت آميالا وأمبالا ولم أكن بمثل هذه الحرية !

وكان في الحقيقة يتصرف بشكل رائع وكل ما استطعته أن أسأله

— وهل تحب المكان هنا ؟

«وقف هناك مبهتما ثم قال كلمتين : «وانت ، كذلك ؟» وحمل مائتين الكلمتين من المعاني أكثر مما كنت أستطيع أن أئتمله وقبل أن أستطيع الأجوبة ، وأصل كلامه :

« كرم منك أن تبنى هنا . بالطبع ، رغم أنه قد لا يبدو لطيفاً
بالنسبة لك . وإذا كنا » أصبحنا وحدنا هنا ، فسوف
نقضي معظم الوقت وحدك . أرجو ألا يضايقك ذلك ! »

سألته : « يضايقني أن أكون معك ؟ » ياطغلى العزيز ،
أنا أستمع بذلك ! ذلك هو السبب في بلأني هنا . »

نظر إلى مباشرة ، وكان تعبير وجهه في تلك اللحظة
جاداً ، أجعل شمير رأيته على وجهه من قبل - وقال : « هل
بقيت هنا من أجل ذلك فقط ؟ »

« بالتأكيد . » أنا بالقيّة هنا بمثابة صديق لك ولأنني
مهتمة بك ، وسأبقى حتى يتم ترتيب شيء ما بخصوص
مستقبلك ولن يدمشك ذلك . » ألا تذكر أنني قلت لك ، عندما
حضرت إليك وجلست على سريرك ليلة هبوب العاصفة ،
أنني أريد فقط أن أساعدك ؟ »

« أجل ، أجل ! »

واكتشف أنه من الصعب أن يتكلم بهدوء ، لذا فقد
تظاهر بأننا نمزح : « لكن ذلك . » على ما اعتقد كان لكي
نقتنعني بأن افعل شيئاً من أجلك ! »

فاعترفت : « فعلاً كان ذلك يتضمن أن تفعل شيئاً ،
لكنك لم تفعله . »

قال : « أذكر الآن . » فقصت أردت مني أن افعل ليك
شيئاً . »

« هذا صحيح . كنت أريد منك أن تخبرني بشيء
ما كان يزعجك . »

« . » وعازلت تريدني أن تعرفي ؟ هل ذلك ما جعلك
تبعين هنا ؟ »

كان يتكلم بمرح ، لكنني أحسست دقيقتاً بأن هناك
نفخة استسلام في صوته . فسرني ذلك أكثر مما أنصت .
فأجبت : « نعم ، أنا اعترف بذلك . ذلك ما جعلني أتقي
هنا . »

ظل صامتاً فترة طويلة ، فاعندت أنه كان سيقول بأن
ليس هناك شيء يتعبه ، أو أنه ليست لديه النية لكي يقول
لي أي شيء . »

لكنه قال أخيراً : « هل نمتين الآن . » هنا ؟ »

صديقاً ورفيقاً وانما . ولك ان تتحور مدى عاشعرت به
من حجل .

قال هايلز : « ساحبرك بكل شيء . أعني ساقول لك كل
ما ترغبينه . سوف تبقي هنا معي . وسنكون على حابرأ
وساقول لك : سوف أقول لك . لكن ليس الآن ؟ » .

وبدا في عينيه ، وربما في عيني أنا أيضاً . علامات
الأم والحزن التي كانت قادمة . كان من الواضح تماماً
انه يخشى على بقدر خشمي عليه !

سأله : « ولماذا ليس الآن ؟ »

اتجه ناحية النافذة ثانية . وكان كلانا صامتين . لكن
بعد مضي لحظة عاد الى بسرعة . وبدأ كما لو ان هناك
شخصاً مهما بالخارج شغفا لا يستطيع ان يجعله ينتظر
وقال لي : « ينبغي ان اخرج الآن » .

« فأتخرج اذن ، وسوف انتظر ما قد وعدت به . لكن
في مقابل ذلك ، وقبل ان تخرج ، هناك شيء صغير أود
ان اعرفه » .

« لن يكون هناك مكان ولا زمان المفضل من ذلك » .

تطلع حوله ، كما لو ان هناك شيئاً يريدك ، ثم انتابني
احساس غريب انه كذلك بالفعل ، لأنه كان خائفاً لأول مرة
ربما كان خائفاً مني ، وبالتالي فان هذا يكون المفضل النوع
الخوف . وتساملت عما اذا كان ينبغي ان اتحدث اليه
بقسوة . لكنني لم استطع فعل ذلك ، حتى ولو كنت ارجو
في فعله . وفي اللحظة التالية قلت برفقة : « انت تريد ان
تخرج ثانية ، ليس كذلك ؟ »

« كم أود ذلك ! »

ابتسم بشجاعة والنقط قبعت . وقبف هناك يلقى
طرف قبعتي بيده بطريقة جعلتني تفسر بالخجل . فلقد
احسست حقيقة بالخجل مما كنت افعله ، رغم انني كنت
اعرف ان كل تصرفاتي كانت تعجيبه . لقد كنت احاول
انتقاده ، ولا استطيع ان افعل ذلك الا بان اجعلك يدرك
فكرة الاثم والشر . كنت افهم بفعل ذلك الى طفل صغير
لاحول له ولا قوة ، أصبح بالنسبة لي بشكل من الاشكال

تردد ثم قال : « شيء صغير جدا » .

— نعم ، شيء صغير جدا فقط من المسألة كلها
نقول لي ، إذا كنت قد أخذت خطابي من فوق متخفية
للصلاة بعد ظهر أمس !

— ٢٤ —

لمدة دقيقة لم أستطع معرفة رد فعل تساؤلي هذا . فلقد
حدث شيء بدد انتباهي بشكل كبير . لقد قفزت من فوق
مقعدى ، وبجركة أو حركتين عفويتين أمسكت بمائلز
واحتضنته وجعلت ظهره تجاه النافذة وتلفت حولي طلباً
للمساعدة . فلقد عاد شبح كوينت للظهور في هيئة حارس
فوق البرج - وكان الشيء الذي رأيته بعد ذلك أنه قد
وصل إلى النافذة . وقف بالقرب من الزجاج ، يتطلع من
خلاله بوجهه الشيطاني الشاحب الدنيء !

لا أستطيع وصف مشاعري . كل ما أستطيع قوله
هو أنني توصلت إلى قرار سريع جدا وأن أقوم بتنفيذه .
وهكذا وأنا أقف أمام تلك الروح الشريرة وجها لوجه ،
توصلت إلى أن مائلز لا ينبغي له أن يراه . كان الأمر



احتويته أكثر بين ذراعى ..

أشبه يقتال مع الشيطان من أجل روح إنسانية ، وعندما
تطلعت إلى الروح الانسانية التي بين يدي ، رايت بضبع
قهقرات من العرق على وجه الطفل الصغير ، ثم سمعت
صوت الصبي ، لم يكن خفيضاً ولا واهناً ، إنما كان يأتي
من أغوار سميقة ، وكانت الكلمات التي سمعتها في منتهى
الحلاوة .

— أجل .. لقد أخذته .

تنفست الصعداء وبهجة ومرح = احتويته أكثر بين
ذراعى حتى أحسبت بضربات قلبه . كانت عينساى
ماتزالان مثبتتين على ذلك الشيء الموجود خارج النافذة
ورأيته يتحرك إلى اتجاه جديد ، قلت أن كوينت يبدو في
هيئة حارس ، لكن حركته البطيئة جعلته يبدو وكأنه وحش
داخل قلص ، تحولت عيناه في أرجاء الصخرة ، ثم توقف
الشبح ليراقب وينتظر ، كنت على ثقة تامة في تلك اللحظة
بأننى سأهزمه ، ومتأكدة أن مايلز لا يعلم أن كوينت موجود
هناك ، فواصلت كلامى : « ما السبب الذى جعلك تأخذ
الخطاب ؟ »

— لأعرف ماقلت على .

— إذن فقد فتحت الخطاب .

— نعم . فتحت !

أبعدته قليلا على . حتى أستطيع رؤية وجهه . كان
تعبير وجهه يدل على ثلاثي كل ما كان يتظاهر به .

كان مضطربا . لكن الشيء الغريب لم الأمر كله هو
تأثير اعترافه ، الذى قطع الحصلة بينه وبين كوينت ، ولم
يعد يستطيع الاتصال مع ذلك الشيء الشرير . كان يعرف
من ذلك ، أن هناك شيئا غريبا مقرا جدا ، لكنه لم يكن يعرف
ما هو . ويبدو أنه لم يكن لديه أى فكرة على الإطلاق أننى
أبضا كنت على وعى بوجود ذلك الشيء الغريب وأننى قد
عرفته . تطلعت ثانية ناحية النافذة . وقد لا يبدو ذلك
مهما . ولم أجد أحدا هناك . كان الجو صافيا ،
واختلسى كوينت . أحسست بأننى قد تغلبت عليه
ولابد أن أحقق نصرا كاملا . فظهرت الى مايلز ثانية .

— ولم تجد أى شيء ؟

هز رأسه بحرّون : « لا شيء » .

فقلت بصوت مرتفع : « لا شيء » ، لا شيء ! » .

فكرر : « لا شيء » ، لا شيء ! » .

— إذن ، ماذا فعلت بالخطاب ؟

— أحرقته !

— أحرقته ؟ هل ذلك ماكنت تعطه فى المدرسة ؟

قال : « فى المدرسة ؟ »

— هل ذلك هو السبب فى طردك من المدرسة ؟ ..

لأنك كنت تأخذ الخطابات أو أشياء أخرى ؟

شعرت بأن وجهى يحمر وتساءلت عما إذا كان من
الغريبة فى شيء أن أوجه مثل هذا السؤال الى انسان
مذهب . أو لأرى الأثر الذى يحدثه له . شعر بالفزع .

— هل كنت تعرفين أننى طردت من المدرسة ؟

— أجل . أعرف كل شيء عنك !

نظر الى باندعاش شديد لفترة طويلة : « كل شيء ».

— كل شيء . « لذا فهل ... »

— كلا . « أنا لم أسرق ! »

ولاشك أن وجهي قد انبأ بأنني أسدقه . لكن بعد
مضي عدة أشهر من التحرر ، لم أستطع مقاومة نفسي من
أن أمسكه :

« إذن ما الذي فعلته ؟ »

تطلع حوائطه في كل أرجاء الغرفة وتنافس بصعوبة
مرتين أو ثلاثة كما لو أنه يعاني الماء : « حسن ، كنت أنقل
كلاما . »

— ذلك فقط ؟

« اعتقدوا أن لي ذلك الكفابة ! »

— « ألا تكتل كلاما فقط لم يسمحوا لك بالعودة الى
المدرسة . لا يبدو ذلك متبعا معقولا تستحق عليه هذا
العقاب القاسي . مثل الطرد . »

٢٢٤

بدأ لاحيلة له على الاتفاق ولم يحاول تبرير ذلك .

— اعتقد ، أنه لم يكن ينبغي علي أن أقول مثل هذه
الأشياء !

— الى من كنت تنقل الكلام ؟

حاول أن يتذكر لكنه لم يستطع : « لا أعرف ! »

وأصبح مستسلما تماما خلال يامه فابتسم لي . ولو
أنني كنت أكثر حكمة ، لوجب علي أن أتوقف عن سزائه .
لكن يبدو أن انتصاري على كوينت ، قد أعاني « فواصلت :
« هل كنت تنقل الكلام الى أي شخص ؟ »

— كلا ، كان فقط لـ ... »

من رأسه ثانية وقال : « لا أذكر أسماءهم . »

— هل كانوا كثيرين ؟

— « كلا ، بل قلة . أولئك الذين كنت أحبهم . »

كان يقول بعض أشياء لعدة أولاد كان يحبهم ! ولهذا
لم يسمح له بالعودة الى المدرسة ! وغدت المشكلة أسعج

٢٢٥

والثقت الى بروجه الصنير المنفل : « أجل ، لقد كانوا في منتهى السوء » في منتهى السوء حتى يكتبوا الى البيت »

« لقد كان سماع مثل هذه الكلمات من شخص ما لا يمكن تصديقها » خلقت : « هذا كلام فارغ » أنا لا أصدق ذلك ، ومن المحتمل أنني يدوت غاضبة عندما اضفت : « ما هذه الأشياء التي كنت تقولها ؟ »

كان غضبي كله متصبيا على المسؤولين في المدرسة الذين حاكموه وأدانوه ، وجعلته ذلك يتجه ثانية ناحية النافذة . وجعلتني هذه الحركة القفز ثانية تجاهه واحتويه بين ذراعي وأنا أصرخ . فلقد ظهر شبح كوينت المرعب مرة ثانية خارج النافذة ، وكان يضبط بوجهه الأبيض الشاحب القاسي على الزجاج حتى أثرتف عن سؤال الصبي وموقف اعتراضاته .

كنت أحسك مايلز بشيء من القوة ، ويبدو أنه تبين الحقيقة ؟ وفجأة أحسست يقينا بأن ذلك رهم » وأن

بدلا من أن تكون سهلة . شعرت بالأسف الشديد له ، وتساءلت خلال ذلك عما إذا كان حقيقة قد ارتكب أي شيء خاطيء . أربعيني الفكرة - واكتشفت فجأة أنه إذا لم يكن مذنباً فأننا التي ساكون مذنبية وأصابني الفكرة بالوهن ، ولركنه ليذهب » . ابتعد عن ناحية النافذة ، ولم يكن هناك ما أختس عليه منه .

سألته : « وهل كان هؤلاء الأولاد يرددون ماكنت تقولهم ؟ »

ابتعد عن قليلا . وتطلع حواليه في أرجاء الغرفة بقلبي وهو مازال يتنفس بسموعة . لكنه أجاب على سؤالتي : « أوه ، أجل ، لا بد أنهم ردوا ماكنت أقوله لهم » ورددوه الى الأولاد الذين كانوا يميونهم .

« واكتشف المدرسون ذلك » على ما اعتقد ؟ !

« نعم ، ولكنني لم اعتقد أنهم سيخبروا أحدا !

« لم يفعلوا - لم يخبروني بأي شيء على الإطلاق - وهذا هو السبب في أنني أسألك »

للقائدة حارثت أمام ثاقورية خالية من أى شيء . وهكذا
كان انصاري على كوبنت كاملا ، وأن هابلز قد أخذ
احتضنته بشدة وصرخت في الزفير : « كفى ، كفى ، كفى »

وانجبت عينا الصبي صوب اتجاه كلفاني وسألني
وهو يلهث : « هل هي هنا ؟ »

فأجبت بأدهاش : « هي ؟ »

فصاح بغضب مفاجيء : « الأنسة جيزيل - الأنسة
جيزيل ! »

أصابني دهشة . وأعندت أن أفكره قد ارتبطت
برجيل فلورا . وجعلني ذلك أود أن أبين له أن الحقيقة
كانت أفضل من ذلك ، « انها ليست الأنسة جيزيل ! لكن
الموجود خارج النافذة » « ألعنا مياشورا » « ذلك المخلوق
السمان ! وهو هناك لأخر مرة ! »

حول رأسه مثل كلب يتشمم رائحة ما . وبدأ يتطلع
الى النافذة بنوع من الشراسة . لكن عينا أن يعثر على
شيء . فلم يستطع أن يرى شيئا ، رغم أن الروح الشريرة

كانت تملأ أرجاء الحجرة . وكانت بالنسبة لى مثل مذاق
السم .

وقال وهو يلهث ثانية : « البس هو ذاك ؟ »

فسألته : « ماذا تقصد . بهو ؟ »

— بيتر كوبنت . أنت ابها الشيطان !

واخذ يطلع ثانية الى أرجاء الغرفة : « أين أنت ؟ »

مازال صوته يرن في أذني . عندما قال اسمه ، وإن
أنتى ذلك أبدا .

قلت : « لانخشي شعبا الآن يا هابلز ، لن يسبب لك أى
شئ ، أبدا ! » لقد أيقظك ، أما هو . . . »

والثلاث ناحية الوحش الموجود خارج النافذة . . .
قد أيقظته الى الأبد ! . . . وعندما أجبت على سؤال الصبي
الأخير ، أثرت بأصبعي ناحية وجهه الشيطاني الشاحب .
« هاهو . هناك ! »

وكان مايلز قد استدار بالفعل ، وأخذ يتطلع ويتطلع
 ولم يرى سوى ضوء حابض ظهوره يوم من أيام نوفمبر ،
 وأزاء المتقاعده لرؤية أى شيء ، والذي كنت لمخورة به
 جداً ، انطلقت منه صرخة عالية طويلة ، كما لو أن أحدا
 دفعه من فوق سقالة عالية ، أمسكت به ثالثة واحتفسته ،
 لكن بعد مضي دقيقة بدأت أدرك ماكان بين ذراعي ، كنا
 وحدنا لمي ذلك اليوم ، ولقائه الصنوبر الذي تحرر أخيراً ،
 قد ترقف من الدق !!

مع تحيات Mma75Online
 MmaWorld@Hotmail.com